المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

(ديوان الشيخ العاشق)
للشاعر/ محمود مصطفى الطوخي
في ضوء نظرية الأدب الإسلامي

(Diwan of the Lover Sheikh)
by the poet/ Mahmoud Mustafa Al-Toukhi
In light of the theory of Islamic literature

بقلم الدكتور

وائل فؤاد إسماعيل عبداللطيف

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا
جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار مارس ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

(ديوان الشيخ العاشق) للشاعر/ محمود مصطفى الطوخي في ضوء نظرية الأدب الإسلامي

وائل فؤاد إسماعيل عبداللطيف

قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : dr.waelfouad12@gmail.com

الملخص

هذا البحث يتناول الجانب الإسلامي في نتاج الشاعر المصري الشيخ محمود مصطفى الطوخي المولود سنة (١٩٠٣م- ١٩٧٣م)، ويعمل على إبراز موضوعاته الشعرية، ثم خصائصه الفنية المتعددة في الشكل والمضمون، وقد قام هذا البحث على مقدمة وتمهيد وفصلين، ثم انتهى إلى خاتمة، ضمت أهم النتائج من أبرزها:

إن الشعر الإسلامي يمثل جانبًا كبيرًا من جوانب التجربة الشعرية في أدبنا العربي الحديث، وأن الشيخ محمود مصطفى الطوخي واحد من أبرز شعراء هذا الاتجاه؛ وذلك بما له من موضوعات متعددة وقيم فنية أصيلة، وأنه لم يشغله هذا النوع عن الموضوعات الأخرى الوجدانية والتأملية، وأخيرًا كان يربط بين هذا الشعر الإسلامي وبين الواقع والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: الشيخ العاشق، محمود مصطفى الطوخي، نظرية، الأدب الإسلامي.

(Diwan of the Lover Sheikh) by the poet/ Mahmoud Mustafa Al-Toukhi In light of the theory of Islamic literature

Wael Fouad Ismail Abdel Latif
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Girga, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: dr.waelfouad12@gmail.com

Abstract

This research deals with the Islamic aspect in the work of the Egyptian poet Sheikh Mahmoud Mustafa Al-Toukhi, born in the year (1903 AD - 1973 AD), and works to highlight his poetic themes, then his many artistic characteristics in form and content. This research was based on an introduction, a preface, and two chapters, then it ended with a conclusion, which included The most important results include:

Islamic poetry represents a large aspect of the poetic experience in our modern Arabic literature, and Sheikh Mahmoud Mustafa Al-Toukhi is one of the most prominent poets of this trend. This is because it has multiple themes and original artistic values, and that this genre did not distract it from other emotional and contemplative topics. Finally, it linked this Islamic poetry to reality and society.

Keywords: Sheikh Al-Ashiq, Mahmoud Mustafa Al-Toukhi, theory, Islamic literature.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وبه نستعين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فإن الشيخ **محمود مصطفى الطوخي** يعد واحدًا من الشعراء الإسلاميين الذين لم يكتبوا إلا في هذا الاتجاه، ومع كونه من هؤلاء الشعراء الذين نشأوا في بيئة وعصر مليء بالشعر العامودي نشأ مع هؤلاء الكبار، ومنهم: (شوقي)، و(حافظ)، و(محرم)، وغيرهم، ورُغم شاعريته التي وجدت في ديوانه وتفوقه في كتابة الشعر ونسجه التزم التزامًا شديدًا بهذا النهج والمنهج الذي سار عليه، ربما كانت تربيته لها الأثر الأكبر في ذلك ورُغم هذه البراعة والشعرية لم يلتفت إليه أحد من قبل، ويخصص له دراسة، وهذا أهم ما دفعني لهذه الدراسة في الجانب الإسلامي؛ الذي كثرت فيه آثاره، وتعددت موضوعاته، وسَمَتْ خصائصه.

يضاف لذلك عدة أسباب أخرى، أكدت هذا الدافع الأساس، وتتمثل في:

- التعريف بالشاعر العربي الموهوب والمغمور في نفس الوقت، وتقديمه إلى حقل الدراسات الأدبية والنقدية وإلى الباحثين؛ كي يتناولوا بقية التجارب الشعرية لديه في دراساتهم الأدبية والنقدية.

- الإسهام في الدراسات النقدية التي تتخذ الجانب الإسلامي في أدبنا العربي موضوعًا لها، وتعمل على تطبيق كثير من المعايير الفنية الأصيلة في صياغة الأدب وفنونه، وفي تناول الظواهر والموضوعات .

- الكشف عن أهم الموضوعات الشعرية والخصائص الفنية التي اشتملت عليها الدراسة في الشعر الإسلامي للطوخي؛ وذلك مثل المناجاة الإلهية، والمديح النبوي، والذكريات والمناسبات الإسلامية، ثم اللغة الشعرية

المتقنة، والمعاني الإسلامية العظيمة، والتأثر بالتراث، وغير ذلك من الخصائص الفنية.

هذا وقد اتبعت المنهج التكاملي في هذا البحث؛ وذلك من خلال الاستعانة بالمنهج الفني والتاريخي وغيرهما، فتناولت نظرية الشعر الإسلامي لدى **الطوخي** تبعًا للأصول الفنية المقررة لعناصر الشعر في كتب الأدب والنقد واللغة، كذلك عرضت بإيجاز حياة الشاعر وأصوله وبيئته وعلاقته بالوسط الاجتماعي من خلال سيرته وشعره والتي وُجِدتْ في ديوانه، وأخيرًا ذكرت بعض تأثرات الشاعر وتأثيراته النفسية؛ لذا كان القصد إلى دراسة قصائد الديوان في ضوء نظرية الأدب الإسلامي، في هذا البحث الموجز.

وقد جاء البحث بعد هذه المقدمة في تمهيد، وفصلين، وخاتمة على النحو التالي:

أما التمهيد ففيه محوران :

المحور الأول: ويتناول فيه التعريف بالشاعر الشيخ **محمود مصطفى الطوخي**، وبيان أهم معالم حياته الشخصية؛ مثل المولد والنشأة والتعليم والعمل والوفاة، وغير ذلك.

المحور الثاني: نظرية الأدب الإسلامي(إطلالة عامة).

الفصل الأول: وقد تناول دوافع الشعر الإسلامي لدى **الطوخي**، ثم عرض لأهم الموضوعات التي قام عليها هذا الشعر، ومن أبرزها المناجاة الإلهية، والمديح النبوي، والذكريات، والمناسبات الإسلامية.

الفصل الثاني: وقد خُصص للدراسة الفنية لأهم عناصر الشعر الإسلامي لدى الشيخ **الطوخي**، ومن أشهرها: المعاني والأفكار، والعواطف والمشاعر، والألفاظ والأساليب، والصور والأخيلة، والموسيقا، وغيرها.

الخاتمة: وفيها كانت الخلاصة، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث من خلال الدراسة.

هذا وإنني لأرجو من الله العلي القدير أن يلهمني الصواب والسداد، والهداية والرشاد فيما أتناوله في هذا البحث، إنه – تعالى– نعم المولى ونعم النصير، وبالإجابة جدير.

الباحث

التمهيد

الشاعر محمود مصطفى الطوخي ونظرية الأدب الإسلامي

أولا : حياة الطوخي: ترجمته وديوانه (تعريف موجز)[1]:

أ- **مولده ونسبه**: شاعرنا الشيخ محمود مصطفى الطوخي، شاعر مصري معاصر، ولد في عام ١٩٠٣م، وفي ديوانه نجد ذلك " هناك في أقصى الجنوبِ، وفي إحدى قُرَى محافظةِ (قنا)، ولُدَ الشيخُ محمود مصطفى الطوخي-طيَّبَ اللهُ ثراه- عام ألف وتسع مئة وثلاث ميلادية، في قريةِ (طوخ)، والتي تقبعُ في الجانب الغربي لمدينةِ "قوص"، كانَ أصغرَ أشقائه الثلاثة، في زمنٍ ندرَ فيه العلمُ والعلماءُ، في زمنٍ كانَ أعلمُهم من يعرفُ أحرفَ اسمِه، وكان (شوقي) هو مَنْ هو أمير للشعر، وقصائده تملأ القلوب والأرواح قبل الآذان والعقول، فقد توفي أمير الشعراء سنة ١٩٣٢م، وشيخنا العاشق في عنفوان شبابه، وقمة رجولته؛ إذ كان عمره في ذلك الوقت ثلاثين عامًا تقريبًا، فشرب (شوقيًّا) وثمل من شعره، وتضلعه، فكان هو قدوته فيما كتب من شعر يهيم فيه عشقًا بسيدنا رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه- حيث يقول[2]:

شَوقِي وشَيخي أبي صيرٍ تخذتُهما ∴ كُلًّا إمامَي أستحييه في كلمي

فلم يتخذ الشيخ العاشق أمير الشعراء (أحمد شوقي) وحده إمامًا له، بل كان وصيفه وضوءه في الإمامة الإمام (البوصيري) صاحب البردة التي نهج عليها (شوقي) بردته في مدح سيد الأنام النبي الخاتم (محمد)ﷺ، ولذلك يقاطع أمير الشعراء في مواضع عدة، نسوق منها على سبيل المثال قول (شوقي)[3]:

---

(١) ديوان الشيخ العاشق، للشيخ محمود مصطفى الطوخي، ص ٢٦-٣٤، دار ببلومانيا للطبع والنشر، سنة ٢٠٢٠م.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧.

صَـــلَّى وراءكَ مـــنهم كُـــل ذِي خطـــرٍ ∴ ومَـــن يَفـــز بِحَبيـــبِ اللهِ يَـــأتمِ

فيحذو طريقه شاعرنا الشيخ (محمود مصطفى الطوخي)، فيقول[١]:

صـــليتَ فيـــه إمـــامَ المرســـلين ومـــن ∴ يَؤمُّـــه صـــفوةُ الخـــلاقِ يـــأتمِ

نشأته وتعليمه: التحقَ بالكُتَّاب، والذي كانوا يتدارسون فيه كِتابَ الله، ويتعلمون ما قلَّ من علومِ الفقهِ والحديثِ، كانَ هناك كُتَّابٌ لشيخٍ يُدعى (الشيخ جودة)، بدأ فيه الفتى حفظَ القرآنِ حتَّى أتمَّه، ولم يكتفِ بـذلك، لكـن أكمـلَ دراستَه، والتحقَ بالمرحلةِ الأساسيةِ، ثم أتمَّ تعليمَه بدارِ المُعلِّمين، والتي كانت مدرسةً واحدةً في مدينةِ (قنا) تخدمُ العلمَ من أقصى الجنوبِ حتـى محافظـةِ (سوهاج) شمالاً. **عمله**: عَمِلَ مُدرسًا، وتدرجَ في وظيفتِه، ولم يكتـفِ بمـا حصلَ عليه من شهادةِ العالميةِ، فدرسَ بعد ذلك مُتمًّا دراستَه، والتحقَ بكليـةِ دارِ العلومِ في سنٍ متأخرة، وحصلَ على ليسانس دارِ العلومِ بعد الخمسـين.

موهبته الشعرية: أحبَّ الشعرَ وأحبَّه، منذُ نعومةِ أظافرِه، ساعدَه على ذلك أنه نشأَ في بيتٍ يجلُّ الشِعرَ والأدبَ، كانت عائلتُه تقرضُ الشعرَ بالفطرةِ، بل وتحفظُ أجملَ أبياتِه وقصائدِه عن ظهرِ قلبٍ، أي أنهـم كـانوا مـن شـعراءِ الجاهليةِ إن صح التعبير، حتى شعراء عهدِهم مثـلَ (شـوقي)، و(حـافظ)، وغيرِهما، **الديوان**: يعد ديوان الشيخ **محمود مصطفى الطـوخي**[٢] الوحيـد

---

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٢٦.

(٢) الديوان: قام ابنه المهندس بهاء في الثمانينيات في القرن الماضي بتحويله مـن كتابـات الشيخ الطوخي بخط يده إلى الكتابة على الآلة الكاتبة وقتئذ، وتم نسخ ثمانية نسخ وزعـت على أفراد العائلة، وبعد مرور ما يقرب من أربعة عقود ضاع جميع ما كتب ونسخ، ويشاء الله أن يعثر بالصدفة على نسخة من النسخ الثمانية التي كتبت ونسخت من قبل، وذلك مـع بداية العِقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، فقد وجدها بالصدفة أحد تلامذة الشيخ مـع أحد الباعة الجائلين، والتي كان يعدها ليستخدمها في حفظ ما يبيعه كلفافة في البيع، =

الذي اعتمد عليه البحث، وقد قام ابنه المهندس بهاء بكتابة ما دون الشيخ بخط يده، ثم ضاع ما كتب، ومرة ثانية قام حفيده من جهة أمه الأستاذ **محمد عواد**[١]، وقد اجتهد بالعمل على طباعته فيما وجد من أشعاره، فاحتفظ بها وعمل على إظهارها في ديوان أسماه بـ " **ديوان العاشق**" أي عاشق لله ولرسوله ﷺ، وقال في ذلك :" قرأتُ معظمَ ما كتبَ ودوَّن، لم أجد بيتَ شعرٍ واحدٍ كتبَه وصفًا لفتونِ امرأة، ولا فخرًا لذاتِه أو عائلتِه، أونِفاقًا لأحدهم، أوهجاءً، ولم يكتب إلا حبًّا في اللهِ ورسولِه ﷺ ووطنِه فقط، آثرَ أن تكونَ كلماتُه علمًا ينتفعُ به في حياتِه، ومن بعدِ رحيلِه، آثرَ أن تكونَ كلماتُه للهِ ولرسولِهﷺ، يحاججُ بها يومَ لقاءِ ربِّه، وتبقى خالدةً له خلودَ الأنقياءِ الطاهرين العظماءِ"[٢]، وقام بتقديمه للقرَّاء بعد أن رتب قصائده وأعدها إعدادًا جيدًا، وقام بتقديم هذا الديوان الدكتور/ يحي عبدالعظيم[٣].

ثانيا: **نظرية الأدب الإسلامي**: فالأدب الإسلامي نوع من الشعر لا يهتم بالموضوعات الدينية التي تتصل بالشعائر والعبادات والرواد والتاريخ والثقافة الإسلامية فحسب؛ بل تتسع الدائرة فيه لتشمل كل الموضوعات الإنسانية المتصلة بالنفس والكون والحياة وفق التصور الإسلامي، ومما جاء

= فأخذها منه، وهاتف تلفونيا حفيده الأستاذ/ محمد عواد مباشرة، فسرَّه هذا الخبر، والذي جعله يقرر السفر بعد سماعه لهذه المكالمة الهاتفية؛ ليصل بعدها إلى المكان الذي فيه هذه النسخة، وهي مدينة (طوخ) بمحافظة (قنا)، ومن ثَمَّ يأخذ هذه النسخة، ويقرر طباعتها كديوان شعري فورًا؛ ليحفظ على الشيخ (رحمه الله) ما كتب، وتم ذلك مع بداية العِقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، حتى أصبح الديوان الذي بين أيدينا الآن.

(١) محمد عواد: أحد أحفاد الشيخ (محمود مصطفى الطوخي) من جهة أمه، كاتب وأديب مصري، وعضو اتحاد كتاب مصر.

(٢) ديوان الشيخ العاشق، ص ٢٧.

(٣) الدكتور/ يحي عبد العظيم، شاعر وأكاديمي وصحفي مصري.

في التعريف بالفن الإسلامي بشكل عام، ويلخص كل هذه المعاني قول بعض الرواد: إنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود[١]، كذلك يقول في بيان موضوعاته: ليس من الضروري أن يتحدث الفن الإسلامي عن الإسلام؛ حقائقه وعقائده وشخصياته، وإن كان من الجائز بطبيعة الحال أن يتناول كل هذه الموضوعات، ولكنه يتناولها كما يتناول الوجود كله، وما يجري فيه من زاوية إسلامية ويستشعرها بحس إسلامي[٢]، والأدب الإسلامي لايكتفي بجمال التعبير، وإبداع التصوير، وإنما يشترط أن يكون ممتعًا نافعًا في الوقت ذاته[٣]، وهذا النوع من الفن الشعري له وجود في **ديوان الطوخي**، حيث اهتم فيه بعدد كبير من الموضوعات الإسلامية مثل مناجاة المولى ومديح الرسولﷺ، والأحداث التاريخية، والهجرة النبوية، ثم الذكريات والمناسبات الإسلامية، كما تناول بعضًا من الحقائق المتصلة بحياة الإنسان على الأرض من خلال التصور الإنساني كالأخلاق والصفات الحميدة، وغير ذلك مما سوف يتم التعرف عليه فيما يأتي في البحث.

وينقسم الأدب الإسلامي بصلته إلى الحياة إلى قسمين، قسم يؤدي دور نشر الوعي الإسلامي وتبليغ الدعوة والفكر الإسلامي ويشتمل على الابتهالات والدعوات، وقسم آخر يتصل بالحياة الإسلامية العامة، ويخدم جانبًا من جوانبها، هذا القسم الثاني يحمل حينًا شعارًا إسلاميًّا واضحًا، وقد يخلو من

---

(١) ينظر: منهج الفن الإسلامي، تأليف أ/ محمد قطب، ص ١١٩، دار الشروق، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٦م .

(٢) ينظر: منهج الفن الإسلامي، ص ١١٩.

(٣) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، للدكتور/عبدالرحمن رأفت الباشا، ص ١١٠، دار الأدب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

شعار واضح منه، ولكنه يخضع للإسلام بالتزامه بالإطار المسموح للأدب الإسلامي[١].

وللأدب الإسلامي معالمه التي توضحه، ومن ذلك التجربة الشعرية، والخواطر والأفكار، والعاطفة الصادقة، واللفظ الصحيح، والوجدان المفعم بالقيم الإسلامية، والأسلوب البليغ، والنظم الدقيق، والتصوير الأدبي المحكم بالخيال والعقل، والإيقاع الموسيقي، وهذا كله تحت مظلة إسلامية[٢]؛ لأن الأدب الإسلامي هو الذي يستقي موضوعاته من منهج القرآن والسنة النبوية، وما من شك أن لهذا المنهج أثره الواسع في الأدب، صياغة وموضوعا، وشكلًا وأسلوبًا[٣]، وبذلك فإن نظرية الأدب الإسلامي بهذا التحديد لها خصوصيتها التي قد تلتقي في جوانب منها مع التجارب الأدبية في المذاهب الأخرى، ولكنها من غير ذلك ذات خصوصية معينة، تجعلها في صورتها العامة المتفردة في مضمونها ورؤيتها[٤].

(١) ينظر: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، تأليف/ أبو الحسن علي الحسني الندوي، ص ٢٧، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

(٢) ينظر: ديوان جراح الفجر في ضوء نظرية الأدب الإسلامي، للدكتور/ عصمت محمد أحمد رضوان، ص٣٣٧، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد الثاني عشر، سنة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(٣) ينظر: ديوان يإإلهي في ضوء نظرية الأدب الإسلامي، للدكتور/ حسن أبو المجد محمد، ص ١٦٤، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد العاشر، سنة ٢٠٠٦م.

(٤) ينظر: ديوان جراح الفجر في ضوء نظرية الأدب الإسلامي، ص٣٣٧.

الفصل الأول

الاتجاه الإسلامي في شعر الطوخي

الدوافع والموضوعات

- **الدوافع** : لقد تهيأت للشاعر الشيخ (محمود مصطفى الطوخي) عدة بواعث ودوافع جعلته يميل إلى الشعر الإسلامي، ويكثر من قصائده ونماذجه في كثير من صفحات الديوان، ومن أبرز هذه الدوافع ما يلي:

أولا: **الدوافع الاجتماعية**: فقد نشأ في بيئة محافظة في صعيد مصر تعتز بالدين، وتتمسك بأصوله، وتحرص على الأخلاق والمبادئ المستمدة من الإسلام، شأن من يعيش في القرى والنجوع المصرية آنذاك، وقد عرفنا ذلك آنفا عند الحديث عن قرية الشاعر.

ثانيا: **الدوافع الثقافية**: كان (الطوخي) واسع الثقافة، متعدد العلوم والمعارف، وكانت الثقافة الدينية واللغوية هي أهم وأظهر هذه الثقافات وأقواها أثرًا في حياته ولغته وأدبه وفنه.

أما عن الروافد التي حددت هذه الثقافة، وأوصلتها إلى هذه الدرجة من الرقي والاتساع، فتتمثل فيما يلي: ١- التحاقه بالكُتَّاب. ٢- تَعلُّمه في مدرسة المعلمين.

- **الموضوعات**: لقد أثَّرت هذه العوامل جملة في نفسية الطوخي وعقليته وموهبته الشعرية كثيرًا، ومن ثَمَّ دفعته إلى اتخاذ الموضوعات الإسلامية جانبًا من أهم جوانب الإبداع الشعري في ديوانه "ديوان الشيخ العاشق"، ومن أبرز هذه الموضوعات ما يلي:

أولا: **المناجاة الإلهية**: وهي ضرب من ضروب الكلام والدعاء الخافت بين اثنين، وقد جاء في معناها اللغوي : والنَّجْو السر بين اثنين، يقال: نجوته

نجوًا أي سارته، وكذا ناجيته، وانتجاه: أي خصه بمناجاته، والاسم النجوى(١).

ومناجاة المولى تعني دعاءه والإفضاء إليه بما يشغل النفس من المطالب أو الهموم الإنسانية، وهي تدل على قوة الإيمان، وعمق الصلة بين العبد وربه، وقد وردت المناجاة في شعر الطوخي قائمة بذاتها في بعض الأعمال الشعرية، كما وردت متفرقة في بعض الموضوعات الشعرية الأخرى مثل الشكوى والرثاء، ومما ورد في الجانب الأول مناجاته -سبحانه تعالى- في بعض المقطوعات الشعرية التي خصصها بمناجاة ربه، وأنه يفصح عن مدى حبه لربه -سبحانه وتعالى- حبًّا جمًّا، لا أحد يشركه كما يشرك غيره المحبوبات التي ذكرت في أشعارهم، وقد حفل شعر الشيخ (الطوخي) بعدة وقفات مع التضرع، والابتهال، والاستغفار، والتوبة، والإنابة، ومما استهل به شاعرنا المناجاة والتضرع مدح الرسولﷺ؛ ليواصل بعده ما يبتغي فيقول(٢):

آيَاتُ وجدِي أمْلَتْ صَادِقَ الكَلِمِ ∴ في مَدحِ مَن ذِكْره قُربَى ومُغتَنمي

لا ذِكْرُ لَيلَى ولا سَلمَى ولِعتُ بِه ∴ ولا صِفَاتُ المهَا يجرِي بها قَلَمِي

في البيتين السابقين يمدح الشيخ (الطوخي) الرسولﷺ ولكنه يبدأ بداية غير تصريحية في البيت الأول، ثم يصرِّح بعد ذلك في البيت التالي بتفرده بمحبته لرسول الله ﷺ دون شريك له، فيخبر بأن الذي أوجده في الحياة هو الله، وهو من جعله يملي عليه كلماته الصادقة وقد جاء بوجد فكره؛ ليترك السامع والمتلقي يثير الفضول، ويزيده إثارة بأن قربه مغنم يصبو إليه

(١) مختار الصحاح، للرازي، مادة " نجا"، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد، ١/ ٣٠٥، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) ديوان الشيخ العاشق، ص ٣٨.

ويبتغيه، ثم يعلنها صراحة في البيت الثاني عن مدى أشواقه لمن أوجده، فهو ليس كغيره من الشعراء الذين يولعون بذكر محبوباتهم في أشعارهم كمن يذكر ليلى وسلمى، إلى غير ذلك من الوصف، فهو عاشق لمن كان سببا في إيجاده، ثم يصرح بما يلي البيتين بالبيت الثالث، فيخبر أن رسول الله ﷺ المبتغى؛ فهو الذي ملأ قلبه وكيانه، ولم لا؟ فهو الشفيع عند الله له وللناس أجمعين، حيث يقول(١):

لَكِن ولعتُ بِحُبِّ المصطَفَى وكَفَى ∴ نِعمَ الشَفِيعُ اصطفَاه بَارِئُ النَسَمِ

يا ربّ صلِّ وسلِّم ما عَلِمتَ علَى مَن ∴ أمَّ ليلَ السرَى بالرُسلِ كُلِّهِمِ

يا ظبيةَ البانِ غُضِّي الطَرفَ مَرحمةً ∴ سَهمُ اللحاظِ يُصيبُ القلبَ بالسَقَمِ

وراقبي اللهَ في العُشَّاقِ مقتلُها ∴ من المحارمِ فاخشَي سطوةَ الحَكَمِ

ترفَّقي بقتيلِ الحبِّ أرَّقَهُ ∴ سُهدُ الغرامِ وباتَ الجسمُ في ألمِ

مِن الجفونِ دموعي فاضَ منبعُها ∴ وحينَ جفَّتْ دموعي بُدِّلَتْ بِدمي

يعلن الشاعر عشقه وولعه بالمصطفىﷺ وهذا يكفيه فهو الشفيع الذي يشفع له، فقد اصطفاه ربه على العالمين، ثم يدعو ربه ويناجيه أن يصلي عليه؛ فهو الذي صلى بالأنبياء والمرسلين حين أُسري به، ثم ينتقل في الأبيات التالية لينادي ظبية البان، ومن ثَمّ يجعل المتلقي لأبياته في حيرة، حيث ينتقل من الهيم والحب لرسول الله ﷺ إلى الغزل العفيف، فذكر الأحبة والبكاء على الأطلال.

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٣٨ .

ومما ورد في المناجاة الإلهية في شعر **(الطوخي)** بعض المقطوعات الشعرية التي خصصها للدعاء بفك الكرب، وغفران الذنب، ووضع لها عنوانًا، قوله(١):

إلَهِي إنَّني عبدٌ مسيءٌ ∴ قرعتُ بتوبتي للعفوِ بابَا
إلَهِي باسمكَ اللَّهُم سارتْ ∴ أمورُ الكونِ ثابتةً رِتابَا
إلَهِي تاهت الألبابُ فاردْ ∴ جماحًا غاويًا ضلَّ الصوابَا
إلَهِي ثبِّتْ الإيمانَ أصلًا ∴ يقرُّ وفرعُه يزري السحابَا
إلَهِي جلَّ شأنُكَ من رحيم ∴ بعثتَ محمَّدًا يتلو الكتابَا

إن الشاعر في الأبيات السابقة يدعو ربه ويناجيه بما يخلصه من الذنوب بأن يغفر له ويعفو عنه؛ لأن هذه الذنوب قد كثرت وأثقلت ظهره، ولا يخلصها إلا التذلل لله -تبارك وتعالى- فلجأ إليه، وهذا أدعى لاعتراف العبد بالعجز والانكسار تجاه مولاه وخالقه، حيث يعترف ويقول: إن هذه الذنوب سودت وجهه، وما هو إلا عبد ضعيف لجأ إلى الله القوي العظيم الذي يغفر ويعفو ويصفح، فهو الرحيم الذي رحمته وسعت كل شيء، كذلك يواصل مناجاته بربه، فطلب منه أن يرزقه التقوى والصلاح، فهو الكريم، وقد قصد بابه الذي لا يرد خائبا أو مكسورا الخاطر، حيث يقول(٢):

إلَهِي زادُنا التقوى فهيِّئ ∴ حلالَ الزاد أكلًا أو شرابَا
إلَهِي سائلٌ نادى كريمًا ∴ وما قصدَ الكريمَ شَجِن وخابَا
إلَهِي شفِّني للقاكَ شوقٌ ∴ ومن يعشقْ ثناكَ فلن يُعابَا
إلَهِي صالحَ الأعمالِ أبغي ∴ وكأسَ السلسبيلِ غدا شرابَا

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٦٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٦٩، ٧٠.

إلَهِـــي ضـــارعٌ أدعـــوكَ عَفـــوا ∴ وعـــزّاً وانتصـــــاراً واقترابَـــا
إلَهِـــي طـــامعٌ في الجـــودِ لكـــنْ ∴ أخـــافُ الـــذنبَ يحـــرمني الجنابَـــا

في الأبيات السابقة يواصل الشاعر مناجاته لربه، وفي هذه المرة يناديه بأن يحقق له الشوق في لقائه، فهو يعشق مولاه، ويَتزلَّلُ له، فيبتغـي سـبيله والجنة التي بها السلسبيل، وهو بذلك يبتغي رضاه، فيأمل بالفوز بالجنة التـي فيها النعيم الذي لا ينفد يوم القيامة، كذلك يطمع في جود ربه ويخاف الـذنب أن يبعده عن هذا الجود وهذا الشوق العظيم الذي يتمناه ويرجوه ويهيء نفسه إليه بكل ما يملك، فقصد كل طريق يوصله لذلك.

مما سبق يلحظ في هذه القصيدة -كما نرى- أنها تقوم على المناجاة بين الشاعر وربه، وهي تعلن منذ البداية عن نفس الشاعر المؤمنة بالله وعقيدتـه الراسخة في قوته -سبحانه وتعالى- وعونه للعبد وحفظه له من جموح النفس وخيانتها وميلها إلى المغانم والهوى واستمرارها في ذلك، ثم يلجأ إلـى الله -تعالى- مستجيرا به في نهاية القصيدة أن يجعله راضيًا بما قسمه له ومعينًا له في كل أحواله، وأن يغفر له خطاياه؛ لأنها لن تُهوّن عليه إلا بذلك، ثم يطلب من ربه أن يفرج الكرب وأن يكون له الحصن والملتجأ يوم اللقاء، وفي ذلك يقول الشاعر[١]:

إلَهِـــي فـــرِّجْ الكُـــرَّبَ ∴ ويسِّـــرْ لـــي الـــدعاءَ المســـتجابَا
إلَهِـــي قـــاهر فـــارحمْ ضِعافـــا ∴ ومـــن نـــارِ الجحـــيمِ اعتـــقْ رِقابَـــا
إلَهِـــي قـــاهر فـــارحمْ ضِعافـــا ∴ وأحســـنْ يـــومَ نلقـــاك المآبَـــا
إلَهِـــي ليـــلُ آثـــامي كســـاني ∴ بحندسِـــه وغشَّـــانا الضَـــبابَا

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٧٠.

إلَهِـــي مَـــن دعـــاك أجـــبْ دعـــاه ∴ وإنـــي ســـائلٌ أرجـــو الجوابَـــا
إلَهِـــي نـــورُك المشـــكاةُ أبغـــي ∴ فيسِّـــرْمن ســـناه لـــي الحِســـابَا

فهو يعلن أن المفرج للهموم هو الله، والقاهر هو الله، والمستجيب للدعاء هو الله، وطالما أن المولى –عزوجل– بيده كل شيء طلب منه أن يرحم الضعفاء الذين ذلَّت نفوسهم في المعاصي، فلا ينتظرهم إلا نار الجحيم، وأن يعتق رقابهم، وأن يقف معهم يوم الحساب للنجاة من العذاب يوم القيامة، ولم لا يدعوه؛ فهو المستجيب للدعاء، وهو بذلك يتذلل لربه ليستجيب له، وفي نهاية الأبيات من هذه المقطوعة السابقة يطلب تيسير الحساب له يوم القيامة.

ثم يعاود طلب المساعدة والعون من ربه في تهذيب نفسه وروحه لتنال القرب من المولى –عزوجل–، ويدل على هذا محبته لربه فهو يطلب منه بكل طريق وسبيل محبة الله المتمثلة في الغفران والعفو، والسماح والتقوى، وهذا ما ذكره في قوله(١):

إلَهِـــي هـــذِّبِ الأرواحَ حـــتَّى ∴ تنـــالَ القـــربَ لا تخشَـــى اضـــطرابَا
إلَهِـــي وفِّ عنَّـــا كـــلَّ ديـــنٍ ∴ وســـامحْ مَـــن إلى الإيمـــانِ ثابَـــا
إلَهِـــي لا إلـــهَ ســـواك ربٌّ ∴ فأنـــتَ اللهُ تهـــدينا الصـــوابَا
إلَهِـــي يـــا ســـميعُ أجِـــبْ دُعانـــا ∴ وحقِّـــقْ ســـيِّدَي المـــننِ الرِغابَـــا
وصـــلِّ علـــى رســـولِكَ كـــلَّ وقـــتٍ ∴ وزدْه في محبتِـــك انتســـابَا

في الأبيات السابقة نرى الفاجعة التي ألمت بالشاعر، فنراه يلجأ إلى ربه، ويناجيه بهذا الشعر معربًا عن ثقل همومه وطول ليله وكثرة أحزانه التي مزَّقت روحه، وهو في أثناء ذلك يطلب القرب من الله –تعالى– ولقاءه، ولكن

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٧١.

لا حيلة له في تحقيق ذلك إلا بالاستعانة به، وهذا يدل على إيمانه الراسخ ومحبته لربه، فلا أحد يفرج الهموم إلا الله، ولا أحد يغفر الذنوب إلا الله، من هنا يلحظ في هذه الأبيات الحس الإسلامي، حيث آب الشاعر لربه، وأخذ يسأله ضارعًا، ليستجيب له، ويحقق له ما يريد، من هنا عزم على ألا يسأل غيره، ولا يبث شكواه إلا له، وذلك كله يتفق مع الحديث النبوي الشريف فيما رُوى عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، قَالَ: " كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"(١).

ثانيا: الابتهال بأسماء الله الحسنى والدعاء:

من الأغراض التي ذكرها شاعرنا الشيخ (الطوخي) الدعاء والتضرع بجميع أسماء الله الحسنى التسعة وتسعين اسمًا، فقد صاغها في قالب شعري، وابتدأها بالرحمن والرحيم والملك القدوس، حيث يقول(٢):

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذا الأسماءِ ∴ جلَّت صفاتُكَ عن نُهى العُقلاءِ

رحمانُ في الدارين يُرجَى عفوُه ∴ أنتَ الرحيمُ بنا من البلواءِ

ملكٌ تفرَّد في الجلالِ بملكِه ∴ وتنزَّهَ القدُّوسُ عن نظراءِ

أنتَ السلامُ بكَ السلامُ من الردى ∴ ونجاتُنا من مكمنِ الأعداءِ

(١) الجامع الكبير - سنن الترمذي- للترمذي- تحقيق/ بشار عواد معروف،٤/ ٢٤٨، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

(٢) ديوان الشيخ العاشق، ص ٢٧.

يـا مـؤمنَ الأكـوانِ في غسـقِ الـدُجى ∴ أمِّـنْ فـؤادِيَ مـن عُضَـالِ الـداءِ

أنـت المُهَيْمِـنُ فـوقَ كـلِّ مُهَـيْمِنٍ ∴ هَبْنـا الرضـا لنكـونَ في السـعداءِ

عـزِّزْ بفضـلِكَ يـا عزيـزُ مكـانتي ∴ وأحِـلَّ روحِـي سـاحةَ الشـهداءِ

واجـبرْ أيـا جبَّـارُ كسـريَّ بالرضـا ∴ وأقِـلْ عثـاري مـن أسَـى الأهـواءِ

فاستطاع شاعرنا بشاعريته أن يصوغ أسماء الله الحسنى التسعة وتسعين اسمًا على هذا المنوال، وهذا يدل على شاعريته الفذة وتمكنه، فسرد هذه الأسماء في هذه اللوحة الفنية الجميلة، وما بعدها، حتى ينهي هذه القصيدة الطويلة التي اشتملت على ثمانية وتسعين بيتًا بقوله[1]:

يـا باقـيَ الوجـهِ الكـريمِ ووارثـا ∴ مـا في السـماءِ ومـا علـى الغبـراءِ

أرشـيدُ فارزقْنـا الرشـادَ علـى المـدى ∴ أصـبورُ هبنـا الصـبرَ في البأسـاءِ

مـولاي إنَّـا واقفـون ببـابِكم ∴ داعـين بالحسـنى مـن الأسـماءِ

راجـينَ عفـوًا شـاملًا ورعايـةً ∴ وإجابـةً لضـراعةٍ ودعـاءِ

وحيـاةَ عـزٍّ والممـاتَ علـى التُقـى ∴ والغفـرَ للزَّلَّـاتِ والأخطـاءِ

والظِّـلَّ تحـتَ العـرشِ يـومَ قيامـةٍ ∴ والـريَّ مـن حـوضٍ زلالِ المـاءِ

وشـفاعةَ المختـارِ طـه المصـطفَى ∴ يـومَ اشـتدادِ الكـربِ والهيجـاءِ

ودخـولَ عـدنٍ والرحيـقَ نعلُّـه ∴ في رفقـةِ الأخيـارِ والشـهداءِ

ثـم الصـلاةَ علـى النبي وآلـه ∴ مـن خُـصَّ بالفرقـانِ والإسـراءِ

وعلـى الصـحابةِ والقرابـةِ والأُلـي ∴ تبعـوهمُ في نصـرةِ الغـراءِ

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٦٤، ٦٥ .

هكذا يظهر الإبداع الشعري للشيخ (الطوخي) في تناوله أسماء الله الحسنى التسعة وتسعين اسمًا في لوحة فنية مليئة بالأسرار الجمالية والفنية، وهذا يدل على محبته وعشقه لله وأسمائه الحسنى، فتضرع في هذه الأبيات، فطلب الدعاء والتقرب والتذلل لله تعالى. **ثالثا: الاستغاثة بالأبجدية بمراحم الذات العلية** : لم يكتفِ الشيخ العاشق بأسماء الله الحسنى، مستخدمًا إياها ليمدحَ ربه، ولكنه لجأ لمنحى لم يسبقه أحدٌ منهم إليه، فراح يستغيث بمولاه وخالقه، مستخدمًا أبجدية اللغة، من الألف إلى الياء، في سيمفونية شعرية باذخة متألقة ببدايةٍ قوية، لا تتبِّؤكَ عن توجه الرجلِ لاستخدام حروف اللغة الهجائية في بناء القصيدة [١]، وهو غرض لم يسبقه فيه أحد فيما أعلم، فقد استغاث بجميع حروف الهجاء في قالب شعري بالذات العليا؛ ليبدأ بالألف ثم الباء ثم التاء حتى ينهي قصيدته بحرف الياء، والاستغاثة بصفات الله -تعالى- وذاته، فالبداية في كل مرة بـ (إلهي)، والتي هي (بالهمزة)، ثم يأتي بعدها بـ (إلهي باسمك) اللهم، ثم يليها (إلهي تاهت الألباب)، يليها (إلهي ثبت الإيمان) يليها (إلهي جل شأنك)، وذلك حتى ينهي قصيدته بـ (إلهي يا سميع أجب دعانا)، وقبل أن يبدأ هذه الأبيات يبدأ بهذه اللوحة الفنية المليئة بالأسرار، يقدم بهذه المقدمة، حيث يقول[٢]:

سألتُ اللهَ يمنحني متابا ∴ ويُلبسني من التقوَى ثِيابَا

ويكلؤني بعينٍ منه ترعى ∴ عُبَيْدًا مؤمنًا يرجو الثوابَا

ويحفظُ من أذى الخنَّاسِ نفسي ∴ مخافةَ حُسنَ ظنِّي أن يُشابَا

---

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٨.

وينصرني على مَن رامَ كيدي ∴ ويجعلُ ما دَعوتُ به مُجابَا
فدهري ذو صروفٍ قاسيات ∴ تذيقُ المرءَ بعد الشهدِ صابَا
ودنيانا غرورٌ في غرورٍ ∴ هي الرقطاءُ بدَّلتِ الإهابَا
فأدركْ سيدي باللطف وارحمْ ∴ عُبَيْدًا مؤمنًا يرجو الثوابَا

وبعد الأبيات السابقة يبدأ بفكرته الجديدة التي صاغها في لوحة فنية جميلة، حيث يبدأ فيها (بالهمزة) وينتهي (بالياء)، حيث يقول[1]:

إلَهي إنَّني عبدٌ مسيءٌ ∴ قرعتُ بتوبتي للعفوِ بابَا
إلَهي باسمكَ اللَّهُم سارتْ ∴ أمورُ الكونِ ثابتةً رِتابَا
إلَهي تاهت الألبابُ فاردد ∴ جماحًا غاويًا ضلَّ الصوابَا
إلَهي ثبِّتْ الإيمانَ أصلًا ∴ يقرُّ وفرعُه يزري السحابَا
إلَهي جلَّ شأنُكَ من رحيمٍ ∴ بعثتَ محمَّدًا يتلو الكتابَا
إلَهي حلمَكَ المأثُورَ أرجو ∴ وقهرًا يمحقُ الأعدا الذئابَا

إلى أن يختتم هذه القصيدة الطويلة بقوله [2]:

إلَهي مَن دعاك أجبْ دعاه ∴ وإني سائلٌ أرجو الجوابَا
إلَهي نورُك المشكاةُ أبغي ∴ فيسِّرْ من سناه لي الحِسابَا
إلَهي هذِّبْ الأرواحَ حتَّى ∴ تنالَ القربَ لا تخشَى اضطرابَا
إلَهي وفِّ عنَّا كلَّ دينٍ ∴ وسامحْ مَن إلى الإيمانِ ثابَا
إلَهي لا إلهَ سواك ربٌّ ∴ فأنتَ اللهُ تهدينا الصوابَا

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٦٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٧٠، ٧١.

إلَهِي يا سميعُ أجِبْ دُعانا ∴ وحقِّقْ سيِّدَي المننِ الرِغابَا

وصلِّ على رسولِكَ كلَّ وقتٍ ∴ وزِدْه في محبتِك انتسابَا

يلحظ في الأبيات السابقة قوة وفصاحة شاعرنا ومحبته لربه –عزوجل– فهو يحاول أن يشق كل طريق أمامه أو خطر بباله أو بكيانه؛ ليثني على خالقه بكل ما أوتي من بلاغة وفصاحة، فقد هلع بكيانه وروحه إليه، وفي هذا دلالة على رسوخ العقيدة واستقرار الإيمان في قلبه.

رابعا: **المديح النبوي**: وقد تناول شخصية الرسولﷺ بالثناء والتقدير في شعره، والتعرض لحياته وسيرته ومعجزاته، ثم الدفاع عنه وإظهار دعوته والثناء على أهل بيته وصحابته وأتباعه وغير ذلك من المعاني التي شاعت لدى شعراء هذا النوع من الشعر قديمًا وحديثًا، وهذا اللون من المديح يتميز على ما عداه بقوة التعبير وحرارة العاطفة، وكذلك سمو المعاني وشرفها.

أما عن الأسباب فتتمثل في سمو شخصية الرسولﷺ وعلو مكانته في نفوس الشعراء، وأنه النموذج الأكبر والمثل الأعلى لكل المبادىء والقيم الإنسانية في نظرهم، ومن ثم علت نماذجه الشعرية على غيرها في فن المديح.

وقد بدأت المدائح النبوية في عهد الرسولﷺ حينما تناوله جمع كبير من صحابته الشعراء أمثال سيدنا (حسان بن ثابت) و(كعب بن مالك) و(عبد الله بن رواحة) و(كعب بن زهير)ﷺ وغيرهم بالثناء والتقدير، ثم استمرت هذه المدائح في العصور التالية، بل لعلها كانت أشد عاطفة والتهابًا وعمقًا، وشملت بعض المدائح أهل بيته الكرام وصحابته الأطهار وسيرته العطرة، ثم يأتي العصر الحديث بتياراته الشعرية المتنوعة وفسلفاته المتضاربة، ولم يستطع ذلك كله أن يطمس معالم المدائح النبوية، أو يجرّ عليها ذيل النسيان، فنرى

شعراءً كبارًا (كالبارودي) و(شوقي) و(حافظ) و(عزيز أباظة) و(محمود غنيم) و(الجوهري) و(الدواليبي) و(إقبال)، وغيرهم يفردون حيزا كبيرا من دواوينهم للمدائح النبوية، وقد اتخذت القصائد فيها أبعادا جديدة، فأصبحت وعاء لقضايا العصر، حيث تشتمل على مشاكل المسلمين في مختلف أنحاء الأرض، ومعاركهم الطويلة مع أعداء الحرية وأعداء الدين، كما تتضمن أيضًا قضايا التحول الاجتماعي، وتطلعات الجماهير إلى الغد الأفضل، وإلى حياة العدل والسلام والأمن(١).

ومن أعظم القصائد الشعرية التي صاغها (الطوخي) بمناسبة المولد النبوي الشريف في ذكرى مولد النبيﷺ، وهي تقترب من الشبه بشيء من الشعر العربي الأصيل، وهي تقوم على عدة أفكار أساسية هي:

- مقدمة في وصف ميلاد النبيﷺ.
- وصف الحياة العربية والإنسانية عند الميلاد ووصف نزول الوحي عليه.
- مبعثهﷺ، ومعجزاته، وأثر ذلك في الحياة كلها.
- مناجاة روحية مع شخصية الرسولﷺ.
- انتصاراتهﷺ.
- صحابتهﷺ.
- هجرتهﷺ.

وفي المقدمة الوصفية لميلاد الرسول ﷺوشخصيته، يقول (الطوخي)(٢):

---

(١) ينظر : تحت راية الإسلام، تأليف الدكتور/ نجيب الكيلاني، ص ١٩٤ ومابعدها، مطبعة موسسة الرسالة، بيروت، رقم ٣، سنة ١٩٨٤م.

(٢) ديوان الشيخ العاشق، ص ٧٦، ٧٧.

بمولـــدِكَ الـــلألاءِ ذي الأرضِ شُرِّفَـــتْ ∴ وضـــاءَ بنـــورِ الحـــقِ شـــرقٌ ومغـــربُ
وزُلـــزل إيـــوانٌ علـــى الظِّلـــم أســـّه ∴ وأُخمِـــدَتْ الـــنيرانُ كانـــت تلهـــبُ
وشـــعَّ ســـناً مـــن بيـــتِ آمنـــةَ الرضـــا ∴ هـــو الشـــمسُ ليســـت بالغمامـــةِ تُحجَـــبُ
وبُشِّـــرت الأمـــلاكُ أسمـــى بشـــارة ∴ ومـــن يســـترق سمـــعَ الســـماوات يشـــهبُ
فـــنِعْمَ يتيمًـــا مـــن ســـــلالةِ آدمٍ ∴ وآدمُ في فخـــرٍ لـــذاتِك يُنسَـــبُ

فالشاعر هنا يصف ميلاد الرسول ﷺ بأنه كالصبح المنير، والضوء المتلألىء اللذين يفضيان على رب الدنيا بالأنوار الكاشفة له، وقد كان نوره هذا سببًا في محو ما تراكم من جحافل الظلم والظلام على امتداد الزمن، ويشير الشاعر لمولد النبي ﷺ يتيمًا، وهذا شرف عظيم له فقد تولاه الله.

وفي العنصر الثاني قدَّم (الطوخي) صورة واضحة عن الحياة الإنسانية السيئة عند مولد النبي ﷺ، فقال[١]:

وحـــين شـــرَّفَ أرضَ اللهِ مولـــدُه ∴ استبشـــرتْ وبَـــدَت في ثوبِهـــا القشـــبِ
وعصـــبةُ الكفـــرِ يســـتفتون عـــن نبـــأٍ ∴ رمَـــى عقـــولَهم بـــالمسِّ والحـــربِ
لا تســـألوا وأفيقـــوا مـــن غـــوايتكم ∴ هـــذا جـــلالُ ابـــنِ عبـــدِ اللهِ خيـــرِ نـــبي
هيـا اقـرأوا مـا روت التـوراةُ عنه ومـا ∴ الإنجيـل يحكـي وجلُّـوا الحـقَ عـن كـذبِ
تلقَّوهمـــا بَشّـــرا الدنيـــا بمبعثِـــه ∴ ألـــيسَ طـــه رســـولَ العجـــمِ والعـــربِ؟
جـــاءَ النبـــيُّ وأرضُ اللهِ مثقلـــةٌ ∴ بالشـــركِ والظلـــمِ والآثـــامِ والنـــوبِ
فقـــامَ ينشـــرُ بـــينَ القـــومِ دعوتَـــه ∴ بـــاللينِ بالنصـــحِ بالإقنـــاعِ باللبـــبِ
وديـــنُ أحمـــدَ لا ديـــنٌ يشـــاركُه ∴ عنـــد الإلـــهِ كمـــا قـــد نُـــصَّ في الكتـــبِ

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٨٥، ٨٦.

أزال دولـــةَ كســـرى ثـــلَّ ســـدَّتَه ∴ وعـــرشُ قيصـــرِ غالتْـــه يـــدُ العطـــبِ

ودولـــةُ العـــدل قـــد قـــرَّتْ دعائمُـــها ∴ وفرعُهـــا فـــاق عـــالى الـــنجم والشـــهب

فالحياة كلها عند مولده ﷺ كانت مليئة بكل مظاهر الأسى والهـول والفسـاد وانتشار الضلال، فقد شاع الظلـم والشـرك والجهـل والخرافـات وتسـلط المتجبرين وضياع الحقوق؛ ولذلك كله كانت هذه الحياة تتعطش لمن ينقـذها من هذه الأهوال والضلالات، فكان النبي ﷺ المنقذ بيدها مـن هـذا الظـلام الحالك، ولم لا؟ فهو الرائد العظيم المصلح لأمرها ولشئونها، فردها لصوابها، وأنار لها الطريق، ثم يؤكد هذه الحقيقة التي لا مراء ولا جدال فيها، فيقـول: إنه الرسول (محمد) ﷺ الذي بعثه ربه نورًا وهداية للعـالمين إلـى العـرب والعجم، فنشر دعوته باللين والكلام الطيب المقنع بهذه الدعوة الحق، والتـي جاء بها من عند الله –تعالى– وقامت دعائمها على العـدل، فـأزال الظلـم والضلال ونشر العدل والحق، ثم يبين (الطوخي) في العنصر الثالث إظهـار المعجزات التي حدثت عند مولده، فقال[1]:

مـن يـومِ أن حملَـتْ بالبـدرِ آمـنةٌ ∴ لم تلـقَ وَهنًـا ولا قلّـاً مـن الألمِ

ويـومَ مولـدِه الآيـاتُ قـد ظهـرتْ ∴ تـترَى شـواهدُها في الـرومِ والعجـمِ

إيـوانُ كِسـرى حـديثُ العهـدِ معجـزةٌ ∴ للـها شميٌّ هـوَى بـل صـارَ في الرُّسُـمِ

والنـارُ قـد همـدَتْ والبيـدُ قـد مُلئَـتْ ∴ مـاءً "وسـاوةُ" جفَّـتْ فاعجبـنَ وهِـمِ

بـل فـاعجبَنْ مـن طيـورٍ غـرَّدت سـحرًا ∴ ومـن وحـوشٍ تعـنُّ البشـرَ في الأجـمِ

ومـن منـازلَ في بُصـري وفي يمـنٍ ∴ والشـام ضـاءَت بنـورِ المصـطفى العلـمِ

ومـن سـجودٍ بحـالِ الوضـعِ أو كَحَـلٍ ∴ ومـن خِتـانٍ وفي ذا قـولُ مختصـمِ

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤١، ٤٢.

ومن جيوش النجاشي التي هُزمت ∴ أفيالُها ورماها الطيرُ بالحمم
ومن هوازنَ في يُمنٍ غدت ورخًا ∴ من بعد وصمتها بالفقرِ والعدمِ
ومن ملائكِ ربِ العرشِ قد غسلوا ∴ قلبَ الصبيِّ وردُّوا القلبَ في جَسَمِ

في الأبيات السابقة يصف شاعرنا المعجزات التي حدثت للنبي ﷺ عند مولده، وهذا هو الثابت في كتب السيرة العطرة، وذلك منذ الحمل به، فلم تجد السيدة (آمنة) تعبًا أو وهنًا كما تجد الأمهات، وقد أخمدت النار، وجاء الضياء الذي خرج من أمه عندما حدثت بهذا النور الذي أضاء قصور الشام التي تضيء، ثم يشير الشاعر إلى رضاعته وصباه وحياته الطيبة ومحبة الناس له؛ لصدقه وأمانته وأدبه الجمّ، وفي ذلك يقول[١]:

حليمةُ السَّعدِ لمَّا أرضعتْه غدا ∴ سعدُ السعودِ لها من جملةِ الخدمِ
محبَّةُ اللهِ ثوبٌ خصَّ أحمدَه ∴ بلبسِه فهو محبوبٌ لدَى الأممِ
فصادقٌ وأمينٌ وهو في صغرٍ ∴ ما أعظمَ الأدبَ المحمودَ في لُطَمِ
أما ترى حُكمَه في الاختلافِ على ∴ وضعِ الْحُجَيرِوذا من ربِه الحكمِ
غمامةُ الظلِّ أنَّى سارَ تصحبُه ∴ مجذوبةٌ بقوَى تخفَى عن الفَهَمِ
وعليةُ الدوحِ جاءتْ نحو طلعته ∴ تسعى اشتياقًا على الأغصانِ لا القدم

فهذه المعجزات التي أشار إليها شاعرنا حدثت للنبيﷺ منذ ولادته، ثم يتحدث عن معرفة أمر هذا الصبي ونبوءته وشأنه العظيم الذي سوف يكون فيما بعد، وذلك عندما سافر مع عمه (أبي طالب) للتجارة، فظهرت هذه المعجزات التي كشفت أمره وجعلت أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله حقًا أن يخبروا جده بِعظم أمر هذا الصبي وشأنه ومكانته العظيمة، ولذلك ونصحوه

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤٢.

أن يرجع به؛ حتى لا يُقتل من غدر اليهود، وذلك المعهود عنهم، يقول الشاعر في ذلك(١):

ويـوم أنْ صـارَ نحـوَ الشـامِ مُتَّجِـرًا ∴ مـع عمِّـه عـادَ منـه خـيـر مُغتـنمِ
وراهـبُ الـدِّي "نسـطورا" بمـا نعتـتْ ∴ لأحمـدَ الكتْـبُ أبـدى حسـنَ مبتسـمِ
أمـا "بحـيرَى" فنـادى ناصـحًا أبَـه أيـا أبـا طالـبٍ ذا درَّةً اليُتـمِ
حـافظْ عليـه مـن الأعـداءِ إنْ يصلوا ∴ إليـه صـارَ مـع الأمـواتِ في العـدمِ
عليـكَ مـن ربِّنـا المعبـودِ يـا سـندي ∴ خـيرُ الصـلاةِ وتسـليمِ وأنـت قـمِ

فلم يكتفِ بما ذكر شاعرنا بل تطرق إلى الوحي وبداية بعثتهﷺ ومـا حدث معه من قومه من تصديق وتكذيب، وفي ذلك يقول(٢):

نـاداك بالغـارِ ذاك الوحـيُ فـي دعـةٍ ∴ اقـرأْ ثلاثًـا بـأمرِ العـالمِ الحكـمِ
فصـرتَ تقـرأُ يـا أمـيُّ قـولَ هـدًى ∴ لم يتصـلْ قبـل فيـكَ القـولُ ذا بِفَـمِ
ذهبـتَ للـدارِ منـكَ القلـبُ مرتجـفٌ ∴ مُـدّثَّرٌ بالغطـا والقـدرُ في عظـمِ
حكـتْ خديجـةُ لابـنِ العـمِ قصَّـتَه ∴ فقـالَ هـذا نـبيُّ البـدءِ والختـمِ
فليـتني أدركُ المختـارَ أنصـره ∴ نصـرَ الظهـيرِ علـى الأعـداءِ كلِّهـمِ
نـاداكَ ربُّـكَ مـا أعلـى أوامـرَه قُـمْ ∴ أنـذرْ النـاسَ أخـرجْهم مـن الظـلمِ
نبِّـئ عبـادي أنَّـي غافـرٌ لهمـو ∴ وأنَّ سـوطَ عـذابي محـدقٌ بهـمِ
صـدعتَ بـالأمرِ تـدعوهم لخيـرِهم ∴ لبَّـى نـداءَك مـنهم كـلُّ ذي حُلُـمِ

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٣.

ثم يواصل الحديث عن إيذاء قومه له بعد عودته لهم وتحمله الأذى، حيث يقول[١]:

فقالَ أحمدُ إنَّ اللهَ خاطبني ∴ والخمسُ قد فُرضَتْ بالأجرِ والنعمِ

والقومُ قد بالغوا في المكرِ وجهتُهم ∴ شرٌّ ولم ينظروا للأهلِ والْحُرُمِ

واشتدَّ إيذاؤهم لما خديجةُ قد ∴ ماتَتْ وعمُّك من أوصَى بذي الرحمِ

وقد أنشد الطوخي عندما اشتد إيذاء النبي ﷺ ومن أسلم معه، وقد أراد الله أن يقوي الإسلام وينصره، فأمر نبيه بالهجرة، يقول شاعرنا في ذلك[٢]:

طفقتَ تبحثُ للإسلامِ عن وطنٍ ∴ يُعَزُّ فيه بعزِّ الآلِ والحشمِ

هُديتَ للشُرفا من خزرجٍ وإلى ∴ أَوسٍ فكانوا نواةَ الخيرِ للأممِ

قد عاهدوكَ على أن ينصروكَ على ∴ من ناوؤك ويحمُوا الدينَ من لُطمِ

وهاجرَ المسلمونَ السابقونَ إلى ∴ تلك الديارِ فلاقوا مُنتهى الكرمِ

ولايزال شاعرنا يواصل وصف سيرة النبي ﷺ، حتى ينهي هذه القصيدة بأبيات يشير فيها إلى مدح النبيﷺ, ، حيث يقول[٣]:

وهذه مدحةُ الإخلاصِ قد نُسجَت ∴ حواكُها بصقلِ المنسوجِ بالقلمِ

آيُ الثناءِ سُداها والولاءُ كذا ∴ غدا لها لِحمةً من أجوَدِ اللحمِ

شوقي" وشيخُ "أبي صيرٍ" تخذتُهما ∴ كُلًّا إمامي أستحييه في كلمِ

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٢.

لكـــنني لم أفِ الممـــدوحَ واجبَـــه ∴ وهـــل أُلام وهـــذا مُنتهـــى هِمـــمِ

وإنَّمـــا أنـــا داعٍ راجيًـــا كرمًـــا ∴ إجابـــةً للـــدُعا مـــن واســـعِ الكـــرمِ

في الأبيات السابقة يشير الشاعر إلى مدح الرسول ﷺ وهو في ذلك يقتفي أثر شوقي وشيخه أبي صير، الذي يتحدث عنه باستحياء، ويشير إلى تقصيره رُغم ما أنشده من أبيات في حق المصطفىﷺ، فيعترف بالعجز والتقصير في مدح خير الخلق وسيد البشر. ثم يختم هذه القصيدة بالدعاء والقسم على الله بالمصطفىﷺ، وصحابته الغرّ الميامين أن ييسر أموره ويكشف الغم ويغفر الذنوب التي مُلئت بصحيفته، وهو بذلك المترفع عن الحسنات المذنب الطائع المنكسر الذليل لربه، حيث يقول(١):

يـــا ربِّ بالمصـــطفى والغـــرِّ صـــحبته ∴ يسِّـــر أمـــوري واكشِـــف ســـائرَ الغَمـــمِ

واغفـر ذنوبًـا بهـا قـد سُـوِّدَت صُـحفٌ ∴ كـذا الـديونُ أقضِـها مـن فيضِـكَ العمـمِ

واجعـل مقالتَنـا العُليـا وكـن سـندًا ∴ لنـا وعَونًـا وذُخـرًا غـيرَ مُنصـرِمِ

وابسِـط لنـا الـرِّزقَ وأنسـأ في مـدى أثـر ∴ وحُفَّنـا بوقـارِ العلـمِ والحِكـمِ

كما يلحظ في الأبيات السابقة التي هي نهاية القصيدة أن (الطوخي) يناجي ربه، ويطلب منه كما يطلب الشعراء في الماضي والحاضر ومن هؤلاء (البوصيري) و(شوقي) أن ينير للمسلمين طريقهم وحياتهم وأن ينصرهم على الأعداء، كما يبين أنه بهذا المدح مقصرٌ في حق النبي ﷺ وقد اعترف بذلك في شعره، فقدْر النبي (محمد) ﷺ فوق كل وصف، وشعره مقصر لا محالة، وهذا إحساس نابع من قلب محب لله ولرسوله ﷺ، فهذا هو المحب العاشق.

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٥٢.

وقد اتضح من خلال مطالعة الأبيات السابقة والقصائد أن (الطـوخي) تحدث في شعره عن النبي ﷺ منذ حمله وولادته مارًّا بصباه ونزول الـوحي، وطوَّف بنا حول أحداث هجرته ومعجزاته، وكل ذلك في ثوب المدح والثنـاء على النبي ﷺ، ويختم هذه الأبيات بالصلاة على النبي محمد ﷺوطلب الشفاعة من الله – تعالى–.

خامسا: الغزوات والانتصارات : وقـد بـدأت هـذه الغـزوات والانتصارات مع ظهور الدين الإسلامي في القرن السابع الميلادي بعد هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب(المدينة المنورة) وتأسيسه الدولة الإسلامية فيهـا، وقـد تحدث (الطوخي) عن هذه الصفحات المضيئة في التاريخ الإسلامي، ومن ذلك قوله(١):

يـا خـيرَ مـن جـاهـدَ الكفـارَ يُلزمهـم ∴ عبـــادةَ اللهِ دونَ الخلـــقِ كلِّهـــمِ

ومـن بغـزوةِ "بـدرٍ" قلـتَ يـا سـندي ∴ هـذي قـريشٌ أتـت بالجنـدِ والـدُهمِ

وعـدتني النصـرَ يـا ربـاه فـأتِ بـه ∴ "سـيُهزم الجمـعُ" قـالَ اللهُ في الكلـمِ

ماتـت صـناديدُهم قلَّـت عـزائمُهم ∴ ضـاعت معـداتُهم رُدوا بعـارِهم

في العـزِ والأمـنِ صـا رَالـدينُ محتميًـا ∴ وجنـدُه حَـزْمُهم يُغـني عـن الْحَـزمِ

شـادَ البنـاءُ لـدينِ اللهِ بطشُـهم ∴ تعنـو وجـوهُ الأعـادي خـوفَ بأسِـهم

في الأبيات السابقة يتحـدث شـاعرنا عـن نصـر الله لرسـوله ﷺ وللمسلمين في غزوة بدر، فيصف النبي ﷺ بأنه أفضل من جاهد الكفار، وذلك بعد أن اتحد أعداء المسلمين لقتالهم، فقرر النبي ﷺ أن يغزوهم، وقد وعده الله بالنصر، وذكر ذلك في القرآن الكريم، وقُضي في هذه الغزوة علـى كِبـار

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤٨.

الكفار وصناديدهم، فأصابهم الخزي والعار، وانتصر المسلمون بعزتهم، وألقى الله الرعب في قلوب أعدائهم .

ثم يتحدث الشاعر بعد هذه الأبيات عن الغزوات التي جات بعد غزوة بدر، ومنها غزوة أُحد، والخندق، وحُنين، وفتح مكة، حيث يقول(١):

هم القليلون نالوا النصرَ في "أُحدٍ" ∴ لولا انشغالُ رماةِ الحربِ بالغنمِ

وجاءَ في "الخندقِ" الأحزابِ قائدُهم ∴ سفيانُ حربٍ فلاقوا سوءَ منهزمِ

وفي "حُنينٍ" ترى أشلاءهم نُثِرت ∴ على أديمِ الثرَى قد ضُرجَت بدمِ

واللهُ ألقَى علَى الهادي سكينتَه ∴ فعادَ من فرَّ إذ حرَّ الوطيسُ حمي

وفتحُ مكةَ نصرٌ لا مثيل له ∴ من بعده ضاءَ دينُ الحقِّ للأممِ

فتحتَ بسيف يا مبعوثُ مُنتقمًا ∴ لله إذ لم يُلبُّوا دعوةَ القلمِ

في الأبيات يشير شاعرنا إلى النصر في غزوة أُحد، لولا مخالفة بعض جنود المسلمين في تنفيذ أوامر الرسولﷺ، ظنًّا منهم أن النصر قد تحقق والمعركة قَرُبت على الانتهاء.

سادسا: انتصارات الخلفاء الراشدين: إن الخلفاء الراشدين ﷺ هم من حملوا لواء الدين والعقيدة بعد وفاة الرسول ﷺ وهم من العشرة المبشرين بالجنة، حيث تولوا شئون المسلمين سواء بإجماع المسلمين أو بتنصيب من الخليفة الذي سبق، وقد ذكرهم الكثير من الشعراء في العصر الحديث، ومنهم شاعرنا، حيث يقول(٢):

أما أيادي "أبي حفصٍ" فما برحت ∴ له الأعادي شهودًا في عُلا الهممِ

---

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤٨، ٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٠، ٥١.

فـانظر جيوشَـهما في الغـارِ مـا فتكَـت ∴ بـالرومِ وامتلكـت في الفـتحِ مـن عجـمِ
في "القادسـيةِ" و اليرمـوكِ والفَرَمـا ∴ وفي "نهاونـد" نصـرٌ بـاذخُ العِظـمِ
"عثمـانُ" في عسـرة للجـيش عبَّـأه ∴ ومـن يشـابه ذا النـورَين في الكـرم
كـم مـن غـزاةٍ مـع المختـارِ شـاهدَها ∴ وكـانَ فـيها مثـالَ الـضيغـمِ القـرمِ
لهفـي عليـه قتيـل الظلـمِ راح بِـلا ∴ ذنـبٍ ويـا حسـرتي ألقـوه في شمـمِ
في جنـةِ الخلـدِ يـا "عثمـانُ" عِـشْ فَرحًـا ∴ وجـرحُ قتلِـك كـاسٍ مُهجـتي بـدمِ
أمـا "علـيٌ" أبـو السِـبطَين سـيرتُه ∴ بيضـاءُ ناصـعةٌ جلَّـت عـن الـتُهَمِ
الفـارسُ النَـدبُ منـه الهـامُ مـا انخفـت ∴ لغـيرِ بارئـه مـا دان للصـنمِ
فى طاعـة الله والإسـلام نشـأتُه ∴ سـيفٌ مـن الله فى حـرب وفى سـلم
ربحـت "بسـعدٍ وعمـرٍو" بعـدَ "خالـدِنا" ∴ و"عـامـرٍ" دولتـا الرومـانِ والعجـمِ
هـزوا العـروشَ فطاحـت بعـد عزِّتهـا ∴ إن يـبُنِ بـالظلمِ عـرشُ الْمُلـكِ ينهـدمِ
ودولـةُ العـدلِ والشـورَى قـد اتسـعت ∴ رومـا لبغـداد مـدَّت راحـةَ السـلمِ
يـارب فـاجمع قلـوبَ المسـلمين علـى ∴ حبـلِ الوفـاقِ ففيـه خـيرُ مُعتصَـمِ

يتحدث شاعرنا في الأبيات السابقة عن الخلافة بعد رسول الله ﷺ والانتصارات التي حققها المسلمون في معارك عِدة، منها (القادسية) و(اليرموك) و(الفرما) و(نهاوند) على يد الخليفة الراشد سيدنا (عمر بن الخطاب) ﷺ، ثم يشير إلى سيدنا (عثمان بن عفان) ﷺ وجيش (العسرة)، واستشهاده في منزله على يد الغدر من اليهود وهو يتلو القرآن الكريم، ثم يشير إلى سيدنا (علي) ﷺ إلى أنه (أبو الحسنين)ﷺ وسيرته الطيبة، فقد نشأ في طاعة الله مدافعا عن الدين، ثم يأتي بعده (سعد) و(عمرو) و(عامر) بعد (خالد بن الوليد)ﷺ؛ ليجاهدوا في سبيل الله على العهد الذي ساروا عليه وهو

نصر الدين والدفاع عنه، ففتحوا البلاد وقهروا صناديد وأعداء الإسلام، ولم يكتفوا بذلك، فنشروا الإسلام في هذه البلاد بالعدل والشورى والمحبة والإخاء، وهذا هو الذي بُني عليه هذا الدين العظيم، ثم ينهي شاعرنا هذه القصيدة بالدعاء باتحاد المسلمين وجمع كلمتهم؛ لأن ذلك هو الخير والنصر والرفعة لدولة الإسلام.

سابعا: المناسبات والذكريات الإسلامية: إن شعر المناسبات والذكريات الإسلامية هو: "شعر يُكتب، أو يُقال خصيصا لمناسبة معينة، هي عادة الاحتفال بذكرى حدث اجتماعي، أو تاريخي، أو أدبي"(١).

وبالنظر إلى شعر (الطوخي) يلحظ أنه تناول فيه الكثير من المناسبات والذكريات الإسلامية، كما يلحظ فيه أيضا صدق العاطفة، وقوتها، ورغبته في إيقاظ أذهان الأمة، وإيقاد عزيمتها من خلال حديثه عن هذه المناسبات والذكريات، ومن ذلك: - **١- ذكرى مولد النبي**ﷺ: من الأغراض التي تناولها (الطوخي) الاحتفال والاحتفاء عند مقدم شهر ربيع، وقد ذكر في شعره مدى تأثره بهذه الذكرى العطرة، حيث يقول(٢):

هزَّ المشاعرَ روعةً وجلالا ∴ شهرُ الربيعِ لقد كُسِيْتَ جمالا

لك في القلوبِ مكانةٌ قدسيةٌ ∴ يُهْنيكَ رضوانُ الإلهِ تعالَى

فيكَ البشائرُ قد تتابعَ سيرُها ∴ والطيرُ أخبرَ بالرضا الأوعالا

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار ٢/ ١٢٠٦، مطبعة عالم الكتاب، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٨م.

(٢) ديوان الشيخ العاشق، ص ٨٧.

٢- ذكرى هجرة النبي ﷺ: لقد اهتم (الطوخي) -رحمه الله- بجميع الذكريات التي لها أثر في حياة الأمة الإسلامية والعربية، ومنها هجرة النبيﷺ، فأنشد شعرًا في هذه الذكرى، حيث يقول[١]:

لُحْ في سماءِ المجدِ خيرَ هلالِ ∴ واملأ ربوعَ الكونِ بالأقبالِ

وأضئ حجازًا والعراقَ وفارسًا ∴ والشامَ مهدَ الروحِ والأبطالِ

وانظر إلى النيلِ السعيدِ بنظرةٍ ∴ تشفي العليلَ وتودي بالأغلالِ

ياطالما أشرقْتَ فينا هانئًا ∴ والشرقُ حرٌ موطنُ الأشبالِ

ياطالما للغرب كان معلِّماً ∴ يهديه من جهل وفرط ضلال

فالهجرة النبوية لها أثر كبير في نفوس العرب والمصريين، ولذلك يفردون لها خطبا من على المنابر في هذه الذكرى العطرة، وقد تناول شاعرنا هجرة المصطفى ﷺ وما حدث معه من انتصارات، وفي هذا دلالة على محبته للرسول ﷺبمعرفة تفاصيل حياته وتعرفه على تضحياته ﷺ هو وأصحابه ﷺ من أجل هذا الدين وقيامه ونصرته، ولذلك بعد الأبيات السابقة ينشد (الطوخي) واصفًا هجرة النبي ﷺ في قوله[٢]:

خرجَ الشفيعُ وحول دارِالمصطفى ∴ عدُّ الحصَى من فتيةٍ جُهَّالِ

فحثا الترابَ وقال شاهتْ أوجهٌ ∴ فعَموا وصمُّوا واكتسَوا بِنكالِ

وتلا جعلنا السَّدَّ بين يديهمو ∴ والسّدُّ خلفهم بغير جِدالِ

وعلى الفراشِ ثوى عليٌّ نائمًا ∴ وأتَى أبو بكرٍ بخيرِ جمالِ

---

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٩٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٩، ١٠٠.

في غـارِ ثـورٍ قـد أقـامَ المصـطفَى ∴ وخليلُـه بعنايـةِ المتعـالِ
بـاضَ اليمـامُ وخيَّمـت مـن تحتِـه ∴ تلـكَ العناكـبُ بالنسـيجِ الغـالِ
أرأيتَـه حِصـنًا يقـي خـيرَ الـورى ∴ ورفيقَـه مـن حولِـه كظـلالِ
إن يحـزن الصِـدِّيقُ قـال محمـدٌ ∴ معنـا إلـهُ العـرشِ كيـف نُبـالِ
والقـومُ عـادوا بالكآبـةِ والأسـى ∴ وبِذلـةِ المهـزومِ كاسـفِ بـالِ
وإلى المدينـةِ سـارَ رَكـبُ رسـولِنا ∴ يـا سـعد يثـربَ بـالنبيِّ وبـآلِ
منهـا ضـياءُ الحـقِّ أشـرقَ في الـدُنا ∴ وغـدا زَهـوقًا باطـلُ الأنـذالِ
عـمَّ الممـالكَ عـدلُ طـه وانقضَـت ∴ تلـك المظـالمُ وانتهـت بـزوالِ
حُيِّيـتِ مـن ذِكـرى يضـوعُ أريجُهـا ∴ يـا هجـرةَ المختـارِ فـي الأجـيالِ

في الأبيات السابقة يصف شاعرنا هجرة النبي ﷺ بكل دقة، وذلك منذ بدايتها، وصحبة سيدنا (أبي بكر الصديق) ﷺ له، وتحملهما الأذى امتثالًا لأمر ربهما بترك الأهل والديار، ودخولهما الغار وعناية الله التي أحاطتهما من كيد الكفار والمشركين.

٣- **ذكرى مناسبة الإسراء والمعراج**: وهي تلك الحادثة العظيمة التي رسَّخت إيمان المؤمنين، وزادت من إنكار المشركين، وقد تناول (الطـوخي) هذا الحدث العظيم في شعره، حيث يقول[١]:

في الحِجرِ إذ نمتَ جاءَ الوحيُ في طلبٍ ∴ ومـن يـزُرْ رَبعَـه جبريـلُ لم يـنمِ
قُـم يـا حبيبي وشُـقَّ الصدرَ أخـرِجْ مـا ∴ في القلبِ من مُضغةِ الشيطانِ أو سحمِ
قُـم يـا محمـدُ خلَّـاقُ الأنـامِ دعـا ∴ حبيبَـه لمقـامِ العـزِّ والكـرمِ

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤٤، ٤٥.

إلى حظيرةِ مُلكِ الناسِ سرتَ على ∴ متنِ البُراقِ بدأتَ السيرَ من حرمِ
وسارَ ركبُكَ ما أعلَى بطانتَه ∴ جبريلُ فيه غدا من جُملةِ الخدمِ
إلى حِمَى المسجدِ الأقصى أضأتَ ∴ كما أضاء بدرُ الدجى في حالكِ
وكانت الأنبياءُ والرُّسلُ قد جُمعوا ∴ يستقبلون بحفلٍ رأسَ جمعِهم
صليتَ فيه إمامَ المرسلين ومن ∴ يَؤُمُّه صفوةُ الخلاقِ يأتمِ
قصدتَ من بعد ذا السبعَ الطباقَ وقد ∴ ألفيتَ أملاكَها طُرًّا على قدمِ
يستقبلون بأمر الله صفوتَهم ∴ محمَّدًا طاهرَ الأنساب والشِّيم

في الأبيات السابقة يُصوِّر (الطوخي) الرحلة العظيمة التي جاءت تسلية للمصطفىﷺ، وترويحًا عن نفسه، وتصبيرا له على فقد الأحبة، فتتنزل النفحات، وتتجلى الرحمات من رب السماء والأرض، ويطمئن النبيﷺ فيزول حزنه، ويتبدد قلقه، ويسعد بلقاء ربه، ومفاد هذه الرحلة أنه إذا كان أهل الأرض قد آذوك، وطردوك فإن أهل السماء يحبونك، ويوقرونك، وفي استقبالك؛ لذا استهل شاعرنا قصيدته بذكر المصطفى ﷺ وسيدنا (جبريل) عليه السلام عند مجيئه ولقائه لإخبار النبي ﷺ بهذه الرحلة العظيمة احتفاء به، وتعظيمًا له، فالسماء وهي في أبهى زينتها، ثم يواصل وصف هذه الرحلة المباركة، فيبدأ بالأحداث التي تمت في الجانب الأرضي (الإسراء) فيصف بداية الرحلة، ووسيلة السفر وهي البراق فاعتلاه النبي ﷺ، ومعه الأمين جبريل عليه السلام ثم يستقبله الأنبياء والمرسلون -عليهم الصلاة والسلام- ثم يصف فرحتهم بلقاء هذا النبي العظيم ﷺ فيصلي بهم إمامًا، رُغم أنه أصغرهم سنًّا وسبقوه بالنبوة والرسالة، والأنبياء والمرسلين في مبلغ سعادتهم فإمامهم يعلو، ويرتقي، ومعه الأمين (جبريل) عليه السلام الَّذي يطرق باب السماء فتفتح أبوابها؛ فرحًا بقدوم نبي الهدى محمدﷺ، فيصعد بعدها إلى السماوات السبع ليريه الله تعالى من آياته

الكبرى، فكرَّمه الله –تعالى– بهذه المنزلة الرفيعة والشرف العظيم، وهذا كله في معية الله.

٤- استقبال شهر رمضان : فقد كان لشهر رمضان مكانة عظيمة عند شاعرنا كما كان لذلك عند المسلمين، ولم لا؟ فهو شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار، وفيه تتضاعف الحسنات، وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار، لذلك انطلق شاعرنا يشدو بشعره في استقباله، فيقول[١]:

أشرق على الوادي السعيد جمالا ∴ يا بدرَ تِمٍ في السماءِ تلالاَ

أشرق فديتك من مزيلٍ ظلمةً ∴ ظلت تغشَّى أمةً أجيالاَ

بدرَ الصيام أنرْ قلوباً بعدما ∴ رانَ الشقاءُ ففيَّرَ الأحوالاَ

أين العبادُ الصائمون لربِهم ∴ أين التقاةُ الزاهدون مثالاً

أين الذين يقدِّمون ثراءَهم ∴ لمواطنيهم رأفةً ووصالاَ

بل يؤثرون بما استفادوا غيرَهم ∴ يبغون رضوانَ الإلهِ تعالى

يلحظ في الأبيات السابقة فرح وسرور شاعرنا بمقدم شهر رمضان، فيشير إلى أن هذا الشهر العظيم ينير القلوب، ويخرجها من الظلمات إلى النور الذي يملأ القلوب من تقوى الله ورضوانه، فيسعد به العبَّاد والزُّهَّاد في التقرُّبِ من ربهم بمقدمه، حيث الالتزام أكثر من غيره في المحافظة على الصلاة في وقتها وتلاوة القرآن، وقيام الليل، والإنفاق، وصلة الأرحام، والبعد عن الذنوب والمعاصي، كل هذا صاغه شاعرنا في أسلوب أدبي رائع.

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ١٠٣.

٥- وداع شهر رمضان: فلم يكتفِ (الطوخي) بذلك من الشعر في استقبال شهر رمضان، بل تأثر بوداعه، ولم لا؟ فهو شهر كريم، وضيف كريم، فقال في وداعه قصيدة طويلة ابتدأها بقوله[١]:

وداعًا حافلًا يوم الذهابِ ∴ بآياتِ الهدايةِ والمتابِ

وداعًا كنتَ فينا خيرَ ضَيفٍ ∴ عزيزَ الجاهِ مَوفورَ الجنابِ

وداعًا سيدَ الأيامِ منَّا وداعًا ∴ وداعا شهرَ وصومٍ واحتسابِ

أيا رمضان يا شهرَ العطايا ∴ ويا شهرَ الدعاءِ المستجابِ

ويا شهرَ التُقى والأجرُ فيه ∴ يزدُ عن المعارفِ والحِسابِ

ويا شهرَ المساجدِ فيك ضاءت ∴ بشمسٍ ما توارَت بالحجابِ

ويا شهرَ القيامِ بجُنحِ لَيلٍ ∴ مخافةَ قاهرٍ قاسي العِقابِ

تراويحُ الجماعةِ ريحُ قدسٍ ∴ تُريحُ النفسَ من عبءِ الصِعابِ

وقرآنٌ تنزَّلَ في سماءٍ ∴ بأشرفِ ليلةٍ غرًا كِعابِ

تفوقُ من الليالي ألفَ شهرٍ ∴ فيوضُ القدرِ تَهمي بالثوابِ

تنزّلت الملائكُ بعد روح ∴ على العُبَّادِ بالمننِ الرغابِ

فالأبيات السابقة تعد رائعة من روائع الشيخ (الطوخي) حيث جمع جُلَّا إن لم يكن كلاّ بما يحوى هذا الشهر العظيم من فضائل وصفات طيبة، تُشتم منها رائحة التقوى والإيمان والخشوع والتذلل لله، فالانتفاع بهذا الشهر سبب في دخول الجنة؛ لذا نجد شاعرنا يحث على المحافظة على الصلاة في وقتها وقيام الليل، وصلاة التروايح وتلاوة القرآن، وبهذا يصف شاعرنا شهر

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ١٠٥، ١٠٦.

رمضان حين استقباله بالبشر والسرور والفرح والحبور والابتهاج والاقبال على الله، والاشتياق إليه حين وداعه بالحزن والأسى وألم الفِراق.

هذا ولم يفت (الطوخي) في شعره تناول الحث على التقوى، وترك الموبقات، والتمسك بالفضيلة، وعدم الركون إلى الدنيا وزخارفها، حيث يقول[1]:

يا نفسُ دنياكِ خِلٌّ لا وفاءَ له ∴ والغدرُ شيمتُها في الخلقِ من قِدَمِ

فآدمُ الفضلُ أقصَته بما غدرَت ∴ عن الخلودِ وعن عدنٍ وعن نِعمِ

لكن له توبةُ الخلّاقِ قد سبقَتْ ∴ فالآن ينعمُ بين الحورِ والحشمِ

بلوتُ أيامَها البيضَا وأسودَها ∴ وشمتُ حالاتِها في البخلِ والكرمِ

فلم أجدْ غيرَ تقوَى اللهِ مدَّخرًا ∴ ينجو التقيُّ بها من زلَّةِ القدمِ

والنفسُ أمارةٌ بالسوءِ ما فتِئت ∴ تُغري بكلِّ قبيحٍ موجبِ الندمِ

في الأبيات السابقة يشير (الطوخي) ويذكِّر نفسه وينصحها؛ حتى لا تغتر بهذه الدنيا ومباهجها، فهي دائمة الغدر، وهذا ليس بجديد عليها، فمنذ بدء الخليقة من أيام سيدنا (آدم) عليه السلام وغدرها موجود، فهي خدَّاعة، وما على النفس إلا التوبة والرجوع إلى الله -تعالى- وهذا أفضل طريق للنجاة، ثم يُذكِّر نفسه مرة أخرى بأنها أمارة بالسوء إذا ما تركت وأهواءها حيث تريد فإنها تَقَعُ وتغرق في الملذات والشهوات واللهو، وتسقط في ارتكاب الذنوب والمعاصي، وبهذا يؤكد شاعرنا أن الجزاء من جنس العمل، وهذا ما نجده في قول الله -تعالى-: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [2]. كما يلحظ في ذلك أيضا تأثره بقول الرسول ﷺ " فيما

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٣٩.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان ٧، ٨.

يروى عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ" [١]، وفي هذه اللوحة الفنية يدعو شاعرنا الناس جميعا إلى التحكم في النفس ومراقبتها ومحاسبتها دائما، فهذا أدعى في صلاحها.

ثم يواصل في أبياته التمسك بمكارم الأخلاق والتقوى، فيقول[٢]:

خيرُ الممالكِ ما كانت دعامتُها ∴ على المكارمِ في الأخلاقِ والهِممِ

فاعلق حبالاً إلى الأخلاقِ مرجعُها ∴ واسلُك طريقَ الهدى يا صاحِ تغتنمِ

يشير (الطوخي) إلى خير الممالك ويقصد بها خير الناس وأفضلهم أخلاقًا، فهم الذين يتمسكون بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة، فجعلهم كالممالك؛ لأن هؤلاء جعلوا شِعارهم المكارم وطريق الهدى، فينصح ويرشد للنجاة من عقاب الله عند ارتكاب الذنوب والمعاصي، ثم يعلن الندم وطرق أبواب التوبة على تقصيره وارتكاب الذنوب، كما يرجو من الله –تعالى– قبول هذه التوبة، وهذا يدل على صدقه مع الله – تعالى–.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرين، ٥١٣/١٤، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م.

(٢) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤٠.

الفصل الثاني الخصائص الفنية

أولا : خصائص المضمون :

أ- **المعاني والأفكار** : وهي الحقائق التي يقصد الأديب إلى إبرازها، ويهدف إلى أن يزفها إلى السامع أو القارئ أو المتلقين عمومًا؛ ليشاركوه فكرته ويحسوا بما أحس، ويتأثروا بما تأثر، ويحملوا عنه عبء ما يعاني أو بعض ما يؤوده ويثقله، ويخففوا من انفعالاته وإرهاقه وتأثره [١].

وهذه الأفكار والحقائق لابد منها في النموذج الأدبي الرفيع، ومشاركتها للمشاعر والأحاسيس فيه، ذلك أن الأدب الذي ينقصه الفكرة أدب ميت خامل ضعيف؛ لأن الأدب ليس أسلوبًا وتعبيرًا فحسب، بل لابد أن يضيف إلى معلوماتنا جديدًا عن الكون والحياة والوجود والناس[٢].

وبالنظر إلى الشعر الإسلامي لدى (الطوخي) نجده يهتم بالمعنى والفكرة على حد سواء مع العاطفة والمشاعر، ولذلك يؤثر في المتلقين كثيرًا، ويخاطب العقل والوجدان عندهم، وهو يستمد معانيه وأفكاره من المصادر الإسلامية الكبرى، كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية وحياة الصحابة والتابعين، كما يستمدها من تجاربه الذاتية والواقعية الممزوجة بالحسِّ الإسلامي، ولهذه المعاني والأفكار في الشعر الإسلامي لدى (الطوخي) خصائص كثيرة، تتمثل فيما يلي:

---

(١) مناهج البحث الأدبي، تأليف الدكتور/ سعد ظلام، ص ١٦٦، مطبعة دار السعادة، سنة ١٩٧٦م .

(٢) ينظر: مدارس النقد الأدبي الحديث، تأليف الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي، ص ٥٠، مطبعة الدار المصرية اللبنانية- القاهرة، رقم ١، سنة ١٩٩٥م .

١- **الوضوح وعدم الغموض :** فكل المعاني التي استعملها (الطوخي) في شعره الإسلامي تتسم بالخفة والوضوح وعدم التعقيد والغموض، وهذا نابع من اختياره للألفاظ السهلة والأساليب المفصلة كثيرًا في شعره، ثم ابتعاده عن الحوشية في التراكيب والألفاظ، وترك التعقيدات اللفظية والمعنوية، كل ذلك جعل المعاني سهلة وقريبة من أذهان المتلقين، ومما يؤكد ذلك في دعاء المولى – عز وجل– ومناجاته قوله[١]:

إلَهِي جلَّ شأنُكَ من رحيمٍ ∴ بعثتَ محمَّدًا يتلو الكتابَا

إلَهِي حِلمَكَ المأثُورَ أرجو ∴ وقهرًا يمحقُ الأعدا الذئابَا

إلَهِي خالقَ الأكوانِ أسعِدْ ∴ أُناسًا يذكرون اللهَ دابَا

إلَهِي دائمًا أدعوكَ ربي ∴ فذلِّلْ مِن أمانيَّ الصِعابَا

إلَهِي ذُدْ بفضلِك عن حِمانا ∴ وأهلِكْ خصمَنا وارعَ الصِحابَا

وكذلك قوله في بيان منزلة المصطفى ﷺ حين ولادته وصحابته الكرام[٢]:

وُلِدَ الرسولُ بطُهرِه وبخُتنِه ∴ اللهُ أكبرُ قدرةً وفعالا

الحقُ جاءَ مبشِّرًا بهدايةٍ ∴ دمغَ الضلالَ وهذَّبَ الأقوالا

كسرى تجبَّرَ في الرعيَّةِ ظالمًا ∴ والقيصرُ الباغي يتيهُ دلالا

ما خطبُهم حسبوا الشعوبَ ∴ عبيدَهم وتعاهدوهم ذلةً ونكالا

حتى أتَى الإسلامُ فانجابَ الدُجى ∴ والعدلُ عمَّ الشاةَ والرئبالا

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص، ٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٨.

فالذي يقرأ هذين المقطعين سرعان ما يفهم معناهما، ولايجد صعوبة في ذلك، فالأول منهما يدعو الشاعر فيه ربه؛ ليكشف عنه الكرب والحزن، ويُقرّ له بالقدرة على ذلك، كما يدعوه بالغفران والرضا والنصر على الأعداء، وتسهيل الأمور، وحفظه من الأذى، والوقوع في الزلّات والمهلكات .

والآخر يذكر فيه الشاعر منزلة النبي ﷺ حين مولده ومقامه المحمود الذي يشع نورا من الأرض ثم بين مكانته وأهميتها، لذلك طلب التكبير لزوال الشرك والكفر؛ لأنه جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فأظهر الحق وأزهق الباطل، ونصره الله على (كسرى) و(قيصر) رُغم القوة اللاتي وصلا إليها، فالإسلام جاء ليقيم العدل والحق في الكون.

من هنا يلحظ أن الأبيات السابقة واضحة المعنى قريبة إلى أذهان المتلقين، لاتحتاج إلى كثير من التأمل وكد الذهن في فهمها وفهم ما احتوت عليه من المعاني والأفكار المتصلة بالمولى – سبحانه وتعالى– في المقطع الأول، والمتصلة بالنبي ﷺ ونصرته في المقطع الثاني.

٢- **الواقعية والتسجيل:** إن معاني (الطوخي) في شعره الإسلامي من النوع الواقعي التسجيلي، بمعنى أنها مستمدة من الواقع الديني والتاريخي القديم، أو من الواقع المصري والإسلامي المعاصر، فهي ترصد كثيرًا من صورهما، وتسجيلها بدقة وأمانة وإن كان ذلك بأسلوب موجز مراعاة لطبيعة الشعر الغنائي الذي يقوم على الإيجاز ويتغلب الجانب الذاتي فيه على الموضوعي، ومما يمثل المعاني الواقعية التسجيلية المستمدة من التاريخ الإسلامي الحقيقي في شعر (الطوخي) الإسلامي عندما وصف الحياة العربية عند مولد النبيﷺ، وما كان يكتنفها من مظاهر الشرك والفجور والظلم والجهل والفساد

والضلال، ثم ما كان ينتظرها من بروز النبي المصلح (محمد)ﷺ الذي قضى على ذلك كله، ويستبدله بشريعة غرّاء وقِيم أصيلة، حيث يقول[١]:

جـــاءَ النبـــــيُّ وأرضُ اللهِ مثقلـــةٌ ∴ بالشـــركِ والظلـــمِ والآثـــامِ والنـــوبِ

فقـــامَ ينشـــرُ بـــينَ القـــومِ دعوتَـــه ∴ بـــاللينِ بالنصـــحِ بالإقنـــاعِ باللبـــبِ

وديـــنُ أحمـــدَ لا ديـــنٌ يشـــاركُه ∴ عنـــد الإلـــهِ كمـــا قـــد نُـــصَّ في الكتـــبِ

أزال دولـــةَ كســـرى ثـــلَّ ســـدَّتَه ∴ وعـــرشُ قيصـــرِ غالتْـــه يـــدُ العطـــبِ

ودولـــةُ العـــدلِ قـــد قـــرَّتْ دعائمُهـــا ∴ وفرعُهـــا فـــاق عـــالي الـــنجم والشـــهبِ

فـــأينَ نحـــنُ مـــن الأبطـــالِ قادتِنـــا ∴ ســـادوا وشـــادوا بنـــاءَ الـــدينِ بالقضـــبِ

دانـــت لهـــم هامـــةُ الـــدنيا فمـــا شـــغلوا ∴ عـــن ذكـــرِ خـــالقِهم في اليـــبسِ والرطـــبِ

فالذي يقرأ الأبيات السابقة يلحظ أنها تسرد تلك المعاني التي تشير إلى الوقت الذي جاء فيه النبي (محمد) ﷺ وما وجده من ظلمات تحيط بمن حوله، ولكن إرادة الله – تعالى– وعنايته غيَّرت ذلك بمجيئهﷺ لينصر الدين، ويقـيم العدل والحق .

ومما يمثل المعاني الواقعية التسجيلية المستمدة من الواقـع المصـري والإسلامي المعاصر، ما جاء في بعض القصائد التي ضَمّنها مدح الرسول ﷺ وذلك في قوله [٢]:

فاستُضعِفَ الشرقـيُّ فـي أوطـانِنا ∴ ضـــعْفُ الـــيقين يقطِّـــع الأوصـــالا

---

(١) ديوان الشيخ العاشق ص٨٥، ٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٩.

والغـــربُ يضـــربُ كـــلَّ يـــومٍ ضـــربةً ∴ منهـــا دمُ الإســـلامِ ظلمًـــا ســـالا

يـــا قـــومَ أحمـــدَ إنْ تحيُّـــوا ذكـــره ∴ كونـــوا لفعـــلِ المؤمنيـــن مِثـــالا

واللهَ نســـــألُ أن يوفِّقَنـــــا إلى ∴ مـــا نبتغـــي ويُحقِّـــقَ الآمـــــالا

ويُنيـــلَ مصـــرَ العـــزَّ واســـتقرارها ∴ ويـــديمَ فينـــا الأمـــنَ والإقبـــالا

ويعيـــدَ للإســـلامِ ماضـــيَ مجـــدِه ∴ ويوحِّـــــدُ الآراءَ والأفعـــــالا

فالمعاني في المقطع السابق تصف حال المسلمين المعاصـرين قبـل منتصف القرن العشرين، حيث صَدَرت القصيدة في تلك الأحداث المعاشـة، فهو يشير إلى أنهم مهددون مشتتون في أنحاء الأرض، فقد اعتدي عليهم من دول الغرب بالأسلحة التي أسالت الدماء ظلمًا وعدوانًا، وقد غزا باقي بلادهم المستعمرون؛ ذلك لأنهم تركوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ خلـف ظهـورهم، فأزلهم الله للأعاجم، وأصبحوا عبيدًا عندهم وأسرى في سـجونهم، بـل فـي أوطانهم وتحت سيطرتهم، ثم يأتي (الطوخي) ويدعو الله أن يوفقهم وينصرهم، ويحقق آمالهم وأن يرجع إلى الإسلام عزه ومجده وتوحيد كلمته.

٣- **الوحدة الموضوعية** : بمعنى أن يكون هناك تلاق بين الأفكار الجزئية في القصيدة وأن يصل بينها خيط رفيع، وهو ما يسمى في النقد الحديث بالوحدة الموضوعية [١] .

وقصائد (الطوخي) في الشعر الإسلامي تقوم في الأغلب على وحـدة الموضوع، أي أن هناك تلاقيًا بين الأفكار، وتآزرًا بين المعاني، وممَّا يؤكـد ذلك حرصه على عدم الخروج من موضوعه الأساس، ثم الاعتماد على مبدأ

(١) ينظر: في ميزان النقد الأدبي، تأليف الدكتور/ طه أبو كريشة، ص ٤٠، وما بعدها، مطبعة المليجي، القاهرة، سنة ١٩٧٦م.

التضارب بين الأفكار فيه، وقد ساعد ذلك على تحقيق الوحدة الموضوعية في هذا الجانب من شعره، ومن هذه النماذج التي حققت ذلك ما نجده في قصيدته ذكرى هجرة المصطفى ﷺ، حيث خاطب الهلال بالاستبشار بهذه الذكرى العطرة والمناسبة الطيبة، فقال له[١]:

لُحْ في سماءِ المجدِ خيرَ هلالِ ∴ واملأ ربوعَ الكونِ بالأقبالِ

وأضئ حجازًا والعراقَ وفارسا ∴ والشامَ مهدَ الروحِ والأبطالِ

وانظر إلى النيلِ السعيدِ بنظرةٍ ∴ تشفي العليلَ وتودي بالأغلالِ

ياطالما أشرقْتَ فينا هانئًا ∴ والشرقُ حرٌ موطنُ الأشبالِ

ياطالما للغربِ كان معلِّماً ∴ يهديه من جهلٍ وفرطِ ضلالِ

أشرِقْ فديتكَ ياهلالُ بمهجتي ∴ فضياءُ هديِك في السما مُتلالي

في المقطع السابق بدأ شاعرنا قصيدته بهذه النظرة التفاؤلية المبدعة فرحا لبزوغ شهر هجرة الرسول ﷺ، ثم يتحول بإبداعية سامقة بين أقطار الوطن العربي، وكأنَّه يشارك بفرحته وبهجته مع كل الدنيا، ثم يتطرق للفكرة الثانية بوصف حال الأمة العربية والإسلامية وما أصابها من ضعف شديد حيث يستطرد في أبياته ذاكرًا كل وطنٍ بما فيه من مآسٍ وآلام الفرقةِ والضعفِ والوهن، ثم يذكر بعد هذه الأبيات (فلسطين) وما يحدث لها من اعتداء بين للعالم أجمع، فلا تخلو فرحته من عتب على ما تعانيه الأمة من فرقةٍ وعناءٍ حيث يقول[٢]:

---

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٩٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٩.

هـــذى فلســطينُ الشــهيدةُ جُرحُــها ∴ في حاجـــةٍ مـــنكم إلى إدمـــــالِ

أوَمــا درى الإســلامُ مــا تــاريخُهم ∴ وجهـــادُ طـــه الســـيِّدِ المقتـــالِ

فقد وضع يده على الجُرحِ الذي يتألم منه كل عربـــي، يغـــار علـــى (القدس) وما تتعرض له من الانتهاكات والاعتداءات، فهو منشغل بهذه الهموم التي تدل على نزعته الإسلامية، ثم يعود لوقائع الهجـــرة وأحـــداثها، فيـــذكر المؤامرة وكيف تفنن الكفار في تدبيرِها، وكيف خرج رســـول الله ﷺ تاركًـــا سيدنا (علي بن أبى طالب) ﷺفي مرقدِه، يُقبل على الموت فداءً لرسول الله ﷺ راضيًا قانعًا مفتديًا نبي الأمة، بلا خوف ولا جزع ولا تردد، ثم يستكمل أبياته بذكرِ خليلِه ورفيقِه (أبي بكر الصديق)ﷺ، والذي رافقه في رحلتِه، وفي خبأتِه في الغار، ضاربًا أيضًا أعظم المثل في التضحية والفداء[1]، حيث يقول[2]:

سمـــعَ الرســولُ الأمـــرَ مـــن ربِّ الســما ∴ فاصـــدعْ بمـــا تـــؤمر لمحـــو ضـــلالِ

جاهِـــد وإنَّـــا عاصـــموك مـــنَ الأذَى ∴ لا تخـــشَ شـــرَّ عصـــابةِ الجهـــالِ

فـــدعا فلبَّـــى في القبائـــلِ عُصـــبةٌ ∴ مســـــتضعفون وقلـــبُهم رئبـــالِ

ردُّوا عـــن المختـــارِ كـــلَّ كـــريهةٍ ∴ مـــا لا تـــردُّ صـــخورُ شـــمٍّ جبـــالِ

أرأيـــتَ جمـــعَ الكفـــرِ في نـــاديهمو ∴ يتـــآمرون ومـــا لهـــم مـــن والِ

خـــرجَ الشـــفيعُ وحـــول دارِ المصـــطفى ∴ عـــدُّ الحصَـــى مـــن فتيـــةٍ جُهَّـــالِ

فحثـــا الـــترابَ وقـــال شـــاهتْ أوجـــهٌ ∴ فعَمـــوا وصـــمُّوا واكتسَـــوا بِنِكـــالِ

(١) ينظر: ديوان الشيخ العاشق، ص ٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٩.

وهكذا تتآزر الأفكار والمعاني في هذه القصيدة، ويجمع بين أفكارها خيط رفيع، كما تدور حول دعوة الرسولﷺ وهجرته وما تعانيه الأمة العربية والإسلامية من ضعف شديد يحتاج إلى الاتحاد لتحقيق القوة وعودة المسلمين على ما كانوا عليه من عزة وكرامة، ومن هنا صنع (الطوخي) -رحمه الله- ذلك من تحقيق الوحدة الموضوعية في أغلب شعره.

ب- **العاطفة الشعرية**: وهي الحالة التي تشبع فيها نفس الأديب بموضوع أو فكرة أو مشاهد تؤثر فيه تأثيرًا قويًا يدفعه إلى التعبير عن مشاعره والإعراب عما يجول بخاطره(١).

وهي عنصر من أهم عناصر النص الأدبي، وهي التي تميزه عن النص العلمي وتجعله شائقًا جذَّابًا على الرُغم من تكراره وإعادة تلاوته، والأديب سِجل للعواطف الإنسانية ولأدق مشاعر الأديب وخواطره، والأديب الموفق هو الذي ينقل القارئ إلى جوه الفني(٢).

والأدب الإسلامي لا يجافي هذا العنصر، بل يهتم به في كل فنونه وآثاره، فهو لا يقوم على قواعد جامدة، ولا يتشكل في صيغ معزولة عن الحياة والواقع، ولا يكون خطبًا وعظية تشغلها النصوص والأحكام، ولكنه صورة جميلة نامية متطورة تتزين بما يزيدها جمالًا وجلالًا، ويجعلها أقوى تأثيرًا وفاعلية(٣).

---

(١) في ميزان النقد الأدبي، للدكتور/ طه أبو كريشة، ص ٤٤.

(٢) مدارس النقد الأدبي الحديث، ص ٤٨.

(٣) مدخل إلى الأدب الإسلامي، تأليف الدكتور/ نجيب الكيلاني، ص ٣٥، سلسلة " كتاب الأمة " رقم ١٤، سنة ١٤٠٧ه.

والقارئ المدقق في شعر (الطوخي) الإسلامي يستطيع أن يرصد عددًا من العواطف الإنسانية النبيلة التي دفعته إلى قول هذا الشعر، وألقت بظلالها على كل آثاره، فبدا مفيدًا وجذابًا وشائقًا، ومن أبرز هذه العواطف الرجاء والحب والإعجاب والحزن والألم، فقد دفعه الرجاء إلى شعر المناجاة الإلهية ودفعه الحب والإعجاب إلى المدائح النبوية، ودفعه الحزن والألم إلى الرثاء، كما دفعه الإعجاب إلى التفاعل مع أحداث الهجرة النبوية ومع عدد من مشاهد الجهاد في سبيل الله –تعالى– كما ساق الغضب والألم إلى التعبير عن ذاته أو الواقع المعاصر من خلال الحس الإسلامي عنده، ومن أبرز هذه العواطف التي جاءت في شعر (الطوخي) عاطفة الرجاء التي دفعته إلى مناجاة المولى –عزَّ وجلَّ– بقصائد تتسم بالصدق والقوة والثبات الشعوري، ومن أهم أثارها قوله[1]:

إلَهِي مَن دعاك أجبْ دعاه ∴ وإني سائلٌ أرجو الجوابَا

إلَهِي نورُك المشكاةُ أبغي ∴ فيسِّرْمن سناه لي الحِسابَا

إلَهِي هذِّبْ الأرواحَ حتَّى ∴ تنالَ القربَ لا تخشَى اضطرابَا

إلَهِي وفِّ عنَّا كلَّ دينٍ ∴ وسامحْ مَن إلى الإيمانِ ثابَا

إلَهِي لا إلهَ سواك ربٌ ∴ فأنتَ اللهُ تهدينا الصوابَا

إلَهِي يا سميعُ أجبْ دُعانا ∴ وحقِّقْ سيِّدَي المننِ الرِغابَا

وصلِّ على رسولِكَ كلَّ وقتٍ ∴ وزدْه في محبتِك انتسابَا

في القصيدة السابقة يتضح الجانب العاطفي في هذه المشاعر الفياضة التي أودعها (الطوخي) في الأبيات، حيث دفعه الرجاء إلى أن يقر لله بأنه

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٧٠، ٧١.

المعين له في تهذيب النفس والهادي إلى سواء السبيل، فهو يتذلل لمولاه يطلب منه السماح وأن يجيب دعاءه، ويحقق آماله، ويختتم هذه القصيدة بالصلاة على أشرف الخلق والمرسلين، ويبدو أن هذه القصيدة اتسمت فيها العاطفة بالصدق الشعوري، كما اتسمت بالقوة، وبدا ذلك في اللغة الشعرية الصحيحة التي استعملها الشاعر، وهي لغة تتسم بالسهولة والسلاسة والوضوح والإكثار من الأساليب الإنشائية التي تتناسب مع المقام هنا، ومن أبرز العواطف التي صوَّرها (الطوخي) في شعره الإسلامي عاطفة الحب والإعجاب، فقد نتج عنهما شعر المديح النبوي، حيث كان الرجل محبًّا لشخصية النبي ﷺ ومعجبًا بصفاته الطيبة وأخلاقه الحسنة وسيرته العطرة ومعجزاته المتعددة، فقام بمديحه بأكثر من قصيدة كان الجانب العاطفي فيها بارزًا، حيث المشاعر والأحاسيس وعظمة التعبير والتصوير وشيوع الخيال البياني، ولا يعني ذلك أنه تخلَّى عن الجانب الفكري فيها، فقد ركز عليه أيضًا، ومن ثَمَّ جمعت هذه الأبيات بين الإفادة والتأثير، ومن قوله في مدح الرسول ﷺ[1]:

عيدُ الرسولِ بيُمن اللهِ وافانا ∴ وكوكبُ السعدِ في العلياء يرعانا

طوبَى لأمَّةِ طه، اللهُ شرَّفها ∴ ببعثةِ المصطفى أعظمْ بها شانا

من أين لي كَلِمٌ تسمو بلاغتُه ∴ يفيضُ ودًّا وإخلاصًا وتبيانًا

وكيف يملكُ صوغَ المدحِ قائلُه ∴ واللهُ أنزلَ في الممدوحِ قرآنا

في (نون) يُذكرُ هادينا على خُلُقٍ ∴ وفي (براءةَ) فاض العزُّ تحنانا

عليك طه صلاةُ اللهِ دائمةٌ ∴ وصبَّ ربُّكَ غيثَ الفضلِ هتَّانا

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٩٤.

فالجانب العاطفي واضح في الأبيات السابقة، حيث تعج بالمشاعر والأحاسيس الفياضة والطيبة في حبه للرسول ﷺ، عند بيان مكانته وسمو بلاغته، فمنطقه جميل، وكلامه مبين، فهو مقصر مهما حاول المدح والثناء عليه؛ لأن الله مدحه، وأنزل فيه قرآنا، فالنبي ﷺ له قدر كبير عنده، وهذه المشاعر تتفق مع ما هو راسخ في وعي المسلمين وحسهم عند نبيهم ﷺ، ومن ثَمّ تتصف الأبيات السابقة بالصدق، كما أنها تتسم بقوة العاطفة والمشاعر، وهذا يتضح في صياغة لغتها العربية الأصيلة ومفرداتها السلسة الواضحة والمحملة ببعض صور البيان، وفي نهاية المقطع يؤكد (الطوخي) على ثبات العاطفة وشمولها واستمراريتها في التأثير.

وقد أبان (الطوخي) عن هذه العاطفة بأسلوب تقريري مباشر في نهاية القصيدة، حين قال مخاطبًا الرسول ﷺ [1]:

بالعدلِ يأمرُ في نُبلٍ ومسمحةٍ ∴ وأُلفة تذرُ الأعداءَ إخوانا

لمولدِ المصطفى ذكرى محببةٌ ∴ تُثيرُ في النفسِ أشواقًا وأشجانا

أسلافُنا ورثوا الدنيا بأكملِها ∴ بالعدلِ قد ملكوا فرساً وروما نا

فما لنا وهنت منا عزائمُنا ∴ وصارت الكلمةُ العُليا لأعدانا

وأصبح الغربُ مرهوبًا بقوته ∴ والشرقُ في الذلِّ والخسرانِ وسنانا

ما بالُنا لم نفقْ؟ مابالُ قادتنا؟ ∴ قد حالفوا الخلفَ إسراراً وإعلانا

لأنَّ أعمالنَا عن شرعِنا صدفَتْ ∴ يارباِّ عفوًا وإرشاداً وغفرانا

بجاهِ أحمدَ وفِّقنا لسنَّتِه ∴ وكُنْ لنا في خطوبِ الدهرِ معوانا

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٩٦.

في الأبيات السابقة يؤكد (الطوخي) في نهاية مدحه للنبيﷺ على عاطفة الحب بأسلوب مباشر، فيشير إلى أنهﷺ يعدل عدلًا يجعل الأعداء في أُلفة ومحبة، ثم يشير إلى الألم والمحن والهموم التي أصابت العرب، فقام بعمل مقارنة بين الأسلاف وبين الحاضر، وما وصل إليه الحال، وهذا يدل على الضعف الذي وصلت إليه الأمة العربية والإسلامية، فالأسلاف لم يفرِّطوا في الدين وتمسكوا به، وهذا سبب عزتهم وقوتهم، وعندما ضعفوا وقصَّروا في تمسكهم بدين الله ضعفوا أمام الأمم الأخرى من أعدائهم وأصبح للغرب كلمة على العرب، حتى ذاق الشرق مرارة الذُّل والخسران، ويُرجِعُ أهم أسباب ذلك إلى القادة والحكام وتواطئهم مع الأعداء، ثم يستغيث بالله- تعالى- فيطلب منه التوفيق والإعانة والنصرة لدينه، ويلحظ في ذلك أن (الطوخي) يوظِّف شعره لخدمة الدين، وإن صح القول فهو شاعر المبدأ؛ لأنه التزم في جميع شعره في هذا الديوان الصبغة الإسلامية الخالصة المتنوعة الأغراض، ويمكن القول إنه شاعر رسالة واضحة وهدف واضح، فهو يجاهد بعلمه وأخلاقه ودينه من أجل محبته لله ولرسوله ﷺ، فهو يقوم في قصائده بتدوين الأحداث في لوحات فنية بحسة الإسلامي، حتى خرج الشعر الديني المصبوغ بصبغة اجتماعية وسياسية، فهو يبث في هذه القصيدة لوعته وتحسره على أمته المنكوبة، وأمله في تحريرها من الاستعمار في أغلب البلاد العربية والإسلامية، حيث راح يجاهد بكلمته ويشحذ عزيمته؛ لينهض الهمم ويحمس العاطفة، من هنا جاءت أبياته تمتاز بحرارة العاطفة وصدق المشاعر، ومن يقرأ ذلك كله يتفاعل معه، ويشاركه مشاعره وأحاسيسه تجاه محبته لله -تعالى- ولرسوله (محمد)ﷺ تجاه قضايا أمته العربية والإسلامية ونصرتها .

١- في عباراته صدى ذلك، وهي قوة لاتكون بالتقليد والتصنع، وإنما هي قوة الأخلاق وصدق العقيدة وصحة الفهم وبُعد أغواره[١] .

ومما يبين القوة والجزالة عند الطوخي قوله في مخاطبة نفسه للتذكير والنصح والإرشاد[٢]:

يـا نفسُ دنيـاكِ خِـلٌّ لا وفـاءَ لـه ∴ والغـدرُ شـيمتُها في الخلـقِ مـن قِـدَمِ

فـآدمُ الفضـلُ أقصَـته بمـا غـدرَت ∴ عـن الخلـودِ وعـن عـدنٍ وعـن نِعـمِ

لكـن لـه توبـةُ الخلّـاقِ قـد سـبقَتْ ∴ فـالآن يـنعمُ بـين الحـورِ والحشـمِ

بلـوتُ أيامَهـا البيضَـا وأسـودَها ∴ وشمـتُ حالاتِهـا في البخـلِ والكـرمِ

فلـم أجـدْ غـيرَ تقـوَى اللهِ مدَّخـرًا ∴ ينجـو التقِـيُّ بهـا مـن زلَّـةِ القـدمِ

والـنفسُ أمـارةٌ بالسـوءِ مـا فتِـأت ∴ تُغـري بكـلِّ قبـيحٍ موجـبِ النـدمِ

إبلـيسُ يخدعُهـا والله مُنظِـرُه ∴ لغـيِّ نفسٍ خلـتْ عـن عـدةِ العصـمِ

كذلك يظهر ذلك جليًّا في قوله في أمر الوحي مع النبيﷺ[٣]:

نـاداك بالغـارِ ذاك الوحـيُ في دعـةٍ ∴ اقـرأْ ثلاثًـا بـأمرِ العـالمِ الحكـمِ

فصـرتَ تقـرأُ يـا أمـيُّ قـولَ هـدًى ∴ لم يتصـلْ قبـل فيـكَ القـولُ ذا بِفَـمِ

ذهبـتَ للـدارِ منـكَ القلـبُ مرتجـفٌ ∴ مُـدّثَّرٌ بالغطـا والقـدرُ في عظـمِ

حكـتْ خديجـةُ لابـنِ العـمِ قصَّـتَه ∴ فقـالَ هـذا نـبيُّ البـدءِ والختـمِ

فليـتني أدركُ المختـارَ أنصـره ∴ نصـرَ الظهـيرِ علـى الأعـداءِ كلِّهـمِ

---

(١) ينظر: الأسلوب، تأليف/ أحمد الشايب، ص ١٩٤، مطبعة النهضة، القاهرة، رقم ١٢، سنة ١٩٩٨م.

(٢) ديوان الشيخ العاشق، ص ٣٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٣.

نـاداكَ ربُّـكَ مـا أعلـى أوامـرَه قُـمْ ∴ أنـذرْ النـاسَ أخـرجْهم مـن الظـلمِ

نبِّـئ عبـادي أنَّـي غافـرٌ لهمـو ∴ وأنَّ سـوطَ عـذابي محـدقٌ بهـم

فالأبيات السابقة تتسم في أسلوبها بالقوة والجزالة، بمعنى اختيار الكلمات والجمل العربية القوية الدقيقة، كما تتميز أيضا بالقرب من الأفهام، وعدم الحوشية والغرابة، وهذا يبدو في كل الألفاظ والتراكيب داخل المقطعين السابقين.

٢- **الجمع بين الأسلوب الخبري والإنشائي**: والخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته من الكلام، والإنشاء عكسه وهو ما لايحتمل الصدق ولا الكذب[١]، وهما من الأساليب اللغوية التي تستخدم تبعًا للحالة النفسية لدى المتكلم، ومراعاة المقام والحال.

وقد جُمع لدى (الطوخي) بين هذين الضربين من الكلام في شعره الإسلامي، فمرة يعتمد على الخبر، وبخاصة في أثناء القص والإخبار، وهذا يأتي كثيرًا، ومرة يعتمد على الأساليب الإنشائية التي تأتي مبثوثة في القصائد والمقطوعات؛ لسر بلاغي، يهدف إليه ومراعاة الموقف، ومن أساليبه الخبرية حديثه عن بعض معجزات النبي ﷺ منذ ولادته، حيث يقول[٢]:

محمَّـدٌ مدحُـه فخـرٌ أعـزُّ بـه ∴ بـل مدحُـه مُنـزَّلٌ في نـون والقلـمِ

مـن يـومِ أن حملَـتْ بالبـدرِ آمنـةٌ ∴ لم تلـقَ وهنًـا ولا قلّـاً مـن الألمِ

ويـومَ مولـدِه الآيـاتُ قـد ظهـرتْ ∴ تـترَى شـواهدُها في الـرومِ والعجـمِ

إيـوانُ كِسـرى حـديثُ العهـدِ معجـزةٌ ∴ للـها شميٌّ هـوَى بـل صـارَ في الرُّسُـمِ

---

(١) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، تأليف أ/ عبد المتعال الصعيدي، ٢٨/١، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، د. ت .

(٢) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤١.

والنـارُ قـد همـدَتْ والبيـدُ قـد مُلئَـتْ ∴ مـاءً "وسـاوةُ" جفَّـتْ فاعجبـنَ وهِـمِ
بـل فـاعجبَنْ مـن طيـورٍ غـرَّدت سحرًا ∴ ومـن وحـوشٍ تعـنُّ البشـرَ في الأجـمِ
بـل ومـن منـازلَ في بُصـري وفي يمـن ∴ والشـام ضـاءَت بنـور المصـطفى العلـم

ومما ورد من ذلك قوله في أثناء رحلتهﷺ مع عمه في الشام، وتوصية بحيرى الراهب بالحفاظ على هذا الصبي ، فهو النبيﷺ المبشر به والمنتظر، حيث يقول[1]:

ويـوم أنْ صـارَ نحـوَ الشـامِ مُتَّجِـرًا ∴ مـع عمِّـه عـادَ منـه خـير مُغتـنمِ
أمـا بحـيرَى فنـادى ناصـحًا أبَـه ∴ أيـا أبـا طالـبٍ ذا درَّةً اليُتـمِ
حـافظْ عليـه مـن الأعـداءِ إنْ يصـلوا ∴ إليـه صـارَ مـع الأمـواتِ في العـدمِ
عليـكَ مـن ربِّنـا المعبـودِ يـا سـندي ∴ خـيرُ الصـلاةِ وتسـليمِ وأنـت قـمِ

ومن الأساليب الإنشائية التي تنتشر في كلام (الطوخي) الاستفهام الذي خرج من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي وهو التعجيز، قوله[2]:

كـم معجـزاتٌ لرسـلِ اللهِ قـد صـرمت ∴ وذكـرُ أحمـدِ يبقـى غـيرَ مُنصـرمِ

حيث جاء الاستفهام ليدل على كثرة المعجزات للرسل، ويتـبعهم فـي ذلك سيدنا ﷺ في نزول حدوث المعجزات له، وفي نفس القصيدة يقول[3]:

كـم مـن غـزاةٍ مـع المختـارِ شاهدَهـا ∴ وكـانَ فيهـا مثـالَ الضيغـمِ القـرمِ

حيث خرج الاستفهام هنا من معناه الحقيقي إلى الثبات والقوة والصمود فـي الغزوات الكثيرة التي كان في مقدمتها يدافع عن دين الله –تعالى– ورُغم مـا

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤٢.
(٢) المصدر السابق، ص٤٩.
(٣) المصدر السابق، ص٥٠.

قام به من مدح وثناء إلا أنه يقر ويعترف أنه مقصر في حق النبي ﷺ في ذلك وإعطائه بعض حقه، حيث يقول(١):

لكـــــنني لم أفِ المـــــدوحَ واجبَـــــه ∴ وهـــل أُلام وهـــذا مُنتهـــى همـــي؟!

في البيت السابق أتى (الطوخي) بهذا الاعتراف الذي جاء بالاستفهام والذي خرج من معناه الحقيقي إلى العجز والتقصير في مدحه للنبيﷺ، فهو وكل ما يفعله هو محاولة ليس غير، ومن الأساليب التي أتى بها أسلوب الأمر، وقد ورد ذلك في قوله(٢):

يـــا ربِّ بالمصـــطفى والغـــرِّ صـــحبته ∴ يسِّـــر أمـــوري واكشِـــف ســـائرَ الغَمـــمِ

واغفـــر ذنوبًـــا بهـــا قـــد سُـــوِّدَت صُـــحف ∴ ذا الـــديـــونُ أقضـــا مـــن فيـــكَ العمـــمِ

واجعـــل مقالتَنـــا العُليـــا وكـــن ســـندًا ∴ لنـــا وعَونًـــا وذُخـــرًا غـــيرَ مُنصـــرِم

وابسـط لنـا الـرزقَ وأنسـأ في مـدى أثـر ∴ وحُفَّنـــا بوقـــارِ العلـــمِ والحِكـــم

حيث خرج الأمر من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، وهو الدعاء والتضرع لله –تعالى– بأن يغفر الذنوب وأن يكون معيناً له، كما طلب منه أن يوسع رزقه، وأن يرزقه العلم والحكمة، وهذه كلها أمور تعين على التقوى والتقرب من الله – تعالى–.

إلهـــي دائمًـــا أدعـــوك ربـــي ∴ فـــذلِّل مِـــن أمـــانيَّ الصِـــعابَا

إلَهِـــي ذُدْ بفضـــلِك عـــن حِمانـــا ∴ وأهلِـــكْ خصـــمَنا وارعَ الصِـــحابَا

إلَهِـــي رامَـــت الأعـــداءُ كيـــدًا ∴ لنـــا فاجعـــلْ ديـــارَهمو خرابـــا

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص٥٢.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

إلَهِـــي زادُنـــا التقـــوى فهيِّـــئ ∴ حـــلالَ الـــزادِ أكلًـــا أو شـــرابَا

إلَهِـــي ســـائلٌ نـــادى كريمًـــا ∴ ومـــا قصـــدَ الكـــريمَ شَـــجن وخابَـــا

حيث خرج الأمر في الأبيات السابقة للدعاء والتضرع والتوسل لله – تعالى–.

٣- **التأثر بالتراث**: ومعناه اســتدعاؤه واســتيحاؤه والتواصــل معــه فــي النصوص الأدبية الجديدة، والذي يعرف في الفكــر الغربــي المعاصــر بالتناص، وهو: أن يتضمن نص أدبي ما نصوصًا أو أفكارًا سابقة عليــه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ماشابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مــع النص الأصلي، ليتشكل نص جديد واحد متكامل(١).

وقد استدعى (الطوخي) كثيرًا من صور التراث العربــي والإســلامي الحنيف في شعره، مثل القرآن الكريم والحديث النبــوي الشــريف والشــعر العربي القديم والمعاصر والتاريخ الإسلامي في كثير من أحداثه وشخصــياته في أسلوب الشعر الإسلامي لديه، وذلك لأهداف كثيرة، وقد كان للقرآن الكريم في شعر (الطوخي) أثره الأكبر في أسلوبه الشعري، فاستعان بألفاظ القــرآن الكريم، أو معانيه، وذلك لتوضيح المعنى وتقويته، ومن ذلك قوله فــي مــدح المصطفىﷺ (٢):

هـــو رحمـــةُ اللهِ الـــتي قـــد أُرســـلت ∴ وهدايـــةُ البـــاري ورمـــزُ جلالـــه

هـــو أحمـــدُ المُـــدَّثَّرُ المُزَّمّـــلُ ∴ الهـــادي الأنـــامَ الـــبرُّ في أقوالِـــه

(١) ينظر : في الأدب واللغة، تأليف الدكتور/ أحمد هيكل، ص ٣٦، مطبعة الهيئــة المصــرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، سنة ١٩٩٨م.

(٢) ديوان الشيخ العاشق، ص ٩١.

نـــارُ الخليـــلِ غـــدَتْ بـــيُمنِ محمَّـــدٍ ∴ بـــــردًا ســـــلامًا لا تضـــــرُّ بحالِـــــه

ولأجلِـــه فُـــديَ الـــذبيحُ بكبشـــه ∴ وأتـــى الفـــدا العـــالي بحـــلِّ عقالِـــه

يلحظ في الأبيات السابقة أن (الطوخي) اقتبس قولـــه "هورحمةُاللهالتيقد أُرسلت"من القرآن الكريم، مـــن قولـــه تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [١]، واقتبس قولـه: "هو أحمد المدثّر المزّمل"من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ ﴾[٢]، وقوله﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ ﴾ [٣]، واقتبس قوله " بردًا ســـــــلامًا لا تضرُّ بحالِه" من قوله تعالى: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ ﴾[٤]، ومن الاقتباس والتضمين قوله[٥]:

هيـــا اقـــرأوا مـــا روت التـــوراةُ عنـــه ومـــا ∴ الإنجيل يحكي وجلُّوا الحقَ عن كذبِ

تلقَّوهمـــا بَشّـــرا الدنيـــــا بمبعثِـــه ∴ أليسَ طـه رسولَ العجمِ والعـــربِ؟

جـــــاءَ النبـــــيُّ وأرضُ اللهِ مثقلـــــةٌ ∴ بالشـــركِ والظلـمِ والآثـامِ والنـوبِ

فقـــامَ ينشـــــرُ بـــينَ القـــومِ دعوتَـــه ∴ بـــاللينِ بالنصـــحِ بالإقنـــاعِ باللبـبِ

وديـــــنُ أحمـــــدَ لا ديـــــنٌ يشـــــاركُه ∴ عنـد الإلـهِ كمـا قـد نُـصَّ في الكتـــبِ

حيث تضمنت الأبيات السابقة قوله الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٢) سورة المدثر، الآيتان ١، ٢.

(٣) سورة المزمل، الآيتان ١، ٢.

(٤) سورة الأنبياء الآية ٦٩.

(٥) ديوان الشيخ العاشق، ص ٨٥، ٨٦ .

ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾[1]، فمما سبق يلحظ تأثره بالقرآن الكريم في شعره، حيث صاغ أبياته منه، وهو بذلك استفاد من هذه التعبيرات، وهذا يضفي على شعره الصدق والسمو والقوة والرقي، وقد ورد في شعره الاقتباس من الحديث النبوي الشريف، ومن ذلك قوله[2]:

في الحجرِإذ نمتَ جاءَ الوحيُ في طلبٍ ∴ ومن يزُرْ ربعَه جبريلُ لم ينمِ

قُم يا حبيبي وشُقَّ الصدرَ أخرِجْ ما ∴ في القلبِ من مُضغةِ الشيطانِ أو سحمِ

قُم يا محمدُ خلَّاقُ الأنامِ دعا ∴ حبيبَه لمقامِ العزِّ والكرمِ

حيثُ ذُكر ذلك فيما رُوي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَتَاهُ جِبْرِيلُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً. فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ. ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ"**[3]، ومن ذلك الإذن بالهجرة، حيث يقول[4]:

فسارَ معَ الصِّديقِ ليلًا مهاجرًا ∴ وجندُ العِدا عُمي البصائرِ خيَّبُ

ونامَ عليٌّ في الفراشِ مضحيًا ∴ بنفسٍ فدائيٍّ إلى اللهِ يرغبُ

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤٤، ٤٥.

(٣) شرح صحيح مُسْلم، تحقق الدكتور/ يحيَى إِسْمَاعِيل، ٤٦٩/١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٤) ديوان الشيخ العاشق، ص ٧٨.

وطاشتْ عقولُ الكافرين وزلزلتْ ∴ وقصَّ طريقَ السيرِ جمعٌ مكهربُ

فيا ويحَهم إذ يمَّموا الثورَ ضحوةً ∴ وكلٌّ من الأقيالِ في التِّيهِ يضربُ

يقولون ليسَ الغارُ مأوى محمَّدٍ ∴ على فمه نسْجُ الأمانِ يعنكبُ

وما راعهم إلا الحمامُ وبيضُه ∴ وإنَّ جناحَ اللهِ يخبي ويحجبُ

وفي الغارِ ثاني اثنين يبدي مخافةً ∴ فيسمعُ(يا صديقُ لا شيءَ ترهبُ)

فإن حمانا اللهُ جلَّ جلالُه ∴ أتخشى من الشيطانِ سهمًا يُصوَّبُ

يلحظ في الأبيات السابقة الاقتباس الذي جاء به من السنة النبوية من عدة أحاديث، وتأييد الله –تعالى– لرسوله ﷺ وللمسلمين وعنايته التي لاحظته هو ومن معه حتى نصره الله وأظهره على عدوه، ومن الموروث الشعري قوله[١]:

يا ربّ صلِّ وسلِّم ماعَلِمتَ علَى مَن ∴ أمَّ ليلَ السرَى بالرُسلِ كُلِّهمِ

يلحظ في البيتين السابقين الاقتباس من الموروث الشعري القديم على غرار قول (البوصيري) –رحمه الله– حينما قال في ذلك[٢]:

مولاي صلِّ وسلم دائما أبدًا ∴ على حبيبك خَير الخَلق كُلهِمِ

ب- الصور والخيال: الخيال" الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤلفونها من الهواء، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها، تختزنها عقولهم، وتظل كامنة في مخيلتهم حتى يحين الوقت

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٣٨.

(٢) شرح بردة المديح، للبوصيري، ص ٢، دار القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.

فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها"[١]، وللخَيال صلة قوية وارتباط كبير بالعَواطِف، ولِهَذَا « فَكُلّمَا كانت العاطفة قوية احتاجت إلى خيال قوي يُعِين على إظهَارها وروعتها، ويزيد من درجة تأثيرها وبالتالي إن ضعف أي منها يؤثر تأثيرًا كبيرًا في ضعف الآخر» [٢]، ومن ذلك قوله[٣]:

إلى حِمَى المسجدِ الأقصى أضأتَ ∴ كما أضاء بدرُ الدجى في حالكِ الظلمِ

فقد استطاع الطوخي في البيت السابق الاتيان بالتشبيه، فيصور لنا هذا المنظر الجميل في لوحة فنية رائعة مشعة بالأنوار، فشبه حمى المسجد الأقصى بالبدور حين تكون مشعة في تمام الكمال، وهي صورة جزئية في قمة الروعة والجمال، صورة واضحة قريبة من أذهان المتلقين، لأنها سيقت بأسلوب سهل، وخيال قريب، كذلك تنم عن ثراء خياله، وخبراته الفنية الواسعة، وسعة مخزونه الثقافي، كما تدل على قدرته الفائقة في إيجاد العلاقات الملائمة بين العناصر المختلفة التي يرسم منها لوحته الفنية، وكقوله[٤]:

خيرُ الممالكِ ما كانت دعامتُها ∴ على المكارمِ في الأخلاقِ والهممِ

فاعلق حبالاً إلى الأخلاقِ مرجعُها ∴ فمن يكونُ لهذا المذنبِ الأثمِ

(١) في النقد الأدبي، للدكتور/ شوقي ضيف، ص ١٦٧.

(٢) في النقد الأدبي للدكتور/ عبد العزيز عتيق، ص ١١٧ دار نهضة مصر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

(٣) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٠.

حيث أتى (الطوخي) في البيتين السابقين بالاستعارة المكنية، فجسَّد كلا من (الممالك)، وجعل لها دعامة على المكارم والأخلاق، كذلك أتى في البيت الثاني بالاستعارة المكنية، حيث جسد (الأخلاق) وأمر بتعليق الحبال لها، كما أمر (بِسَلْكِ طريق الهدى)، وهذا كله على سبيل الاستعارة المكنية، وذلك في صورة حسية في التشخيص على سبيل الاستعارة المكنية، فحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهي (الدعامة، والحبال، وسلك الطريق)، مما زاد الصورة جمالًا، ورقة، ووضوحًا، كما تتم هذه الاستعارات على حب الشاعر للأخلاق والصفات الحميدة التي جسدها من خلال هذه الصور الرائعة.

ج- الوزن والموسيقا :تُعد الموسيقا الشعرية من أهم العناصر التي تكسب الشعر رقةً وجمالاً، وتمنحه قيمة جمالية متميزة؛ ذلك لأن الشعر في حقيقته " ليس إلا كلامًا موسيقيًّا تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر به القلوب" [١] .

وسيكون الحديث في شعر (الطوخي) الإسلامي عن الموسيقى الخارجية والداخلية:

أولا: **الموسيقا الخارجية** : وهي التي تشتمل على الوزن والقافية، وهما ركنا الموسيقا الخارجية، وهما من أهم ما يميز الشعر عن النثر، فيقول (قدامه بن جعفر) في حد الشعر " قول موزون مقفى يدل على معنى"[٢]، وعدهما (ابن رشيق) أعظم أركان الشعر في قوله: الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة"[٣].

---

(١) موسيقى الشعر، للدكتور/ إبراهيم أنيس، ص ١٥، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، مطبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ -١٩٥٣ م.

(٢) نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تحقيق/ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ص ٦٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٥.

(٣) العمدة في محاسن الشعر، لابن رشيق القيرواني، الجزء الأول ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق/ محمد محى الدين عبد الحميد ١/ ١٣٤، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨١م.

ويقول العقاد " الفن الكامل هو الشعر الذى توافرت له شروط الوزن والقافية وتقسيمات البحور، والأعاريض التي تعرف بأوزانها وأسمائها "[١] .

ولهذه الأداة قيمة كبرى في الشعر، ذلك أنها مصدر الرونق والجمال فيه، وبها يعلو هذا الفن ويتقدم على غيره، ويكتسب صفة البقاء والخلود، ويظل ذا أثر فعال في نفوس المتلقين مهما طال الزمان.

وقد اعتمد (الطوخي) على هذه الأوزان الموسيقية في شعره الإسلامي، وكانت من أهم الأدوات الفنية التي ساعدته على إبراز معانيه وتقديمها للمتلقين والتأثير في نفوسهم من خلال القصائد والمقطوعات التي قدَّمها .

أما عن أهم السمات الفنية للموسيقا الشعرية لدى (الطوخي) فيمكن أن تحدد فيما يلي:

١- التركيز على الأوزان الأصيلة، فقد ركَّز على تلك الأوزان الشعرية الواردة عن العرب القدماء، ولم يخرج عنها في معظم أعماله الإسلامية، سواء أكانت قصائد أم مقطوعات.

٢- أنه كان معتزا بتراثه الشعري، وأن تذوقه الفني والموسيقي كان متوافقًا في الأساس مع أوزانه الأصيلة التي تقوم على وحدة النغم "الوزن" في كل عمل شعري وتكراره في كل أبياته حتى النهاية، مما يشيع في القصائد الرقة والجمال والرنين المؤثر الذي يضاعف من الإحساس بجمال الشعر في الفكر والشعور لدى المتلقين .

٣- يلحظ أن الطوخي استخدم أوزانًا مألوفة فيها هدوء، وإيقاعات قصيرة ، فأكثر شعره من البحر الكامل، والوافر، وهما من البحور ذوات التفعيلة المفردة، ثم جاء ببحري البسيط والطويل وهما من

---

(١) اللغة الشاعرة، تأليف/ عباس محمود العقاد، ص ٢٢، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٥م.

البحور ذات التفعيلات المزدوجة، ومن الملاحظ أيضا أنه لم يستعمل الأوزان المهجورة أو الثقيلة الصعبة كالمضارع، والمجتث، والمقتضب.

٤- كذلك لم يحدد في ديوانه بحرًا لغرض معين، إنما كان ذلك حسب حالته النفسية، فقد تنوعت الأوزان في أغراضه ما بين طويلة وقصيرة ومتوسطة، فجعل تجربته الشعرية مطلقة لا تتقيد بوزن معين، وهذا يدل على مهارته الفنية، إذ إن " الفنان المتمرس يمتلك قاعدته، ولا تملكه القاعدة ، وهو يُخْضِعها لفنه، ولا يخضع فنه لها "[١].

ولقد نُهج في شعر الاتجاه الاسلامي عند (الطوخي) نَهْج القصيدة العربية، مُنذُ جَاهِلِيتها، فَنَظَمَ أشعاره على بحور (الخليل بن أحمد الفراهيدي)، ويلحظ أنه أحسن اختياره لأوزانه حسب ما يقرره العرضيون، فقد استعمل بحورًا من الشعر وكان أكثرها استعمالاً بحر الكامل، يليه بحر البسيط، ثم الوافر، وأخيرًا بحر الطويل، وفيما يلى جدول يبين تلك البحور التي صاغ شعره الإسلامي عليها قصائده ومرات تكرارها وعدد الأبيات التي نُظِمَتْ على كل بحر منها:

م	البحر الشعري	عدد مرات الاستعمال	عدد الأبيات	النسبة المئوية
١	البحر الكامل	٥	١٦٥	٪ ٢٨.٩٩
٢	البحر البسيط	٣	٢٤٣	٪ ٤٢.٧٠
٣	البحر الوافر	٢	٦٤	٪١١.٢٤
٤	البحر الطويل	١	٩٧	٪ ١٧.٠٤

(١) التجديد الموسيقي في الشعر العربي، دراسة تأصيلية تطبيقية بين القديم والجديد لموسيقى الشعر العربي، للدكتور/ رجاء عيد، ص ٢٣٠، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٤م.

ومن هذه الأوزان:

١- بحر الكامل : ورد في شعر الاتجاه الإسلامي (للطوخي)، وكان هو البحر الأكثر ورودًا، ومن نماذج ذلك عند الابتهال الأسنى بأسماء الله الحسنى، فقال[1]: (من الكامل)

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذا الأسماءِ ∴ جلَّت صفاتُكَ عن نُهى العُقلاءِ

رحمانُ في الدارين يُرجَى عفوُه ∴ أنتَ الرحيمُ بنا من البلواءِ

ملكٌ تفرَّد في الجلالِ بملكِه ∴ وتنزَّهَ القدُّوسُ عن نظراءِ

أنتَ السلامُ بكَ السلامُ من الردى ∴ ونجاتُنا من مكمنِ الأعداءِ

وهو بحر واسع في تفعيلاته له رنة موسيقية عذبة، تزينها الألفاظ الفخمة، كما يتيح للشاعر التعبير عن مكنون نفسه، ومنه أيضا.

حيث أتاحت تفعيلاته نوعًا من الفخامة والجلال للألفاظ، وزاد من نغماتها الموسيقية الهادئة، فساعدت ذلك كثيرًا في الابتهال بأسماء الله الحسني.

وقد وَظَّفَ (الطوخي) إمكانياته ببحر الكامل صاحب الأنغام الخاصة، تَبَعًا لخُصوصيته ووزنه، لخدمة غرضه من خلال تفعيلاته التي تتناسب مع جمال هذا الابتهال والتعظيم بأسماء الله الحسنى، فَعَبَّرَ عن شوقه ومحبته إليها، فأدى ببحر الكامل ما أراده من الإيقاع ذي النغمة المُوحية، والذي ساعده في التعبير عن أبعاد عاطفته واشتياقه ومحبته لربه.

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٢٧ .

٢ ـ بحر البسيط : نظم (الطوخي) على منوال البحر البسيط في شعر الاتجاه الإسلامي، ومن النماذج التي جاءت في ذلك عند ذكرى المولد النبوي، فقال [١] :

عيدُ الرسولِ بيُمن الله وافانا ∴ وكوكبُ السعدِ في العلياء يرعانا

طوبَى لأمَّةِ طه ، اللهُ شرَّفها ∴ ببعثةِ المصطفى أعظمْ بها شانا

من أين لي كَلِمٌ تسمو بلاغتُه ∴ يفيضُ ودًّا وإخلاصًا وتبيانًا

فعَبَّر بتفعيلات بحر البسيط عن ذكرى المولد النبوي، وما وجده من اشتياق ومحبة للرسول ﷺ، ليُعْلِمَ المُتَلَقي هذه الدرجة التي وصل إليها قلبه، عَسَي أنْ يُبرز هذه المحبة لمن يسمع لهذه الذكرى العطرة من خِلَال تفعيلات بحر البسيط بهذا الحِس المُوسيقي العَالِي، والرَّاقي لَدَى المُتَلَقِّي.

فجاء بأوزان بحر البسيط ، لِتُضفِي على هذه الألفاظ أنغامًا للنَّصِ بمزيجٍ من الانتظام مع الامتداد المُتَوازِي في خِتَام كُلِّ بيت، وهذا الجو الموسيقي الرَّائِع سَاعَده على إبراز تَجربته المُتأثرة بهذه الأوصاف عند مجيء هذه الذكرى الطيبة.

ثانياً : القافية: والقوافي جمع قافية، والقافية « عند الخليل من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع المُتحرك الذي قبل الساكن »[٢].

---

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٩٤.

(٢) موسيقى الشعر العربي دراسة فنية وعروضية للدكتور/ حسني عبد الجليل يوسف، ١٣٩/١، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٩ م.

والقافية «هي تلك الأصوات التي تتكرر في نهاية الأبيات، وسميت قافية لكونها في آخر البيت من قولك: « قفوت فلانًا إذا تبعته» [١].

وتُحَقِّقُ القافية مُلاءمة ظاهرة بين أواخر أبيات القصيدة مع كونها جُزْءًا مُهمًا من إيقاعه، ومُوسيقاه، فهي« تاج الإيقاعِ الشِّعْرِيِّ، وهي لا تقف من هذا الإيقاع موقف الخلية، بل هي جُزء لا ينفصم مِنه، إذ تُمثل قضاياها جُزءًا من بِنية الوزن الكامل، تفسر من خلاله وتفسره، فَهُمَا وَجهان لعملة واحدة»[٢].

أما عن أهم السمات الفنية لاختيار القافية لدى (الطوخي)، فيمكن أن تحدد فيما يلي:

١- الاهتمام بالقافية الموحدة، ومعروف أن هذه القافية من أهم عناصر الإيقاع الشعري في القصيدة العربية القديمة، وقد اهتم بها الرواد الأوائل في نهضتنا الشعرية المعاصرة كنوع من المحافظة على القديم، ومضى على ضربهم كثير من الشعراء في شتى الاتجاهات والمذاهب الشعرية، منهم شاعرنا الشيخ (محمود مصطفى الطوخي).

كذلك يلحظ أن معظم الشعر الإسلامي لديه يقوم على القافية الموحدة التي يتكرر فيها الروي في نهاية الأبيات مما يُحدث إيقاعًا جميلًا يجذب المتلقي ويدفعه إلى المتابعة، وهذه القافية أتت مطلقة، وقد جاءت قصائده في شعره الإسلامي على خمسة أحرف من حروف الهجاء وهى : " الهمزة الباء النون اللام الميم " وكان استخدامه للحروف، والأصوات اللغوية العربية

---

(١) موسيقى الشعر العربي دراسة فنية وعروضية ، ١٣٩/١.

(٢) القافية تاج الإيقاع الشعري للدكتور/ أحمد كشك، ص ٧، طبعة مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

في تقفية أشعاره في شعره الإسلامي على النظام، والترتيب، وبالنسب التي يوضحها الجدول الآتي: ومن نماذج هذه القوافي:

الميم: فالميم كانت تتصدر المرتبة الأولى في شعره الإسلامي، حيث استخدم (روي الميم) في أكبر قصيدة في الديوان، فحوت أكثر الأبيات الشعرية في شعره، حيث جعلها رويًّا في أكثر شعره وعدد الأغراض بداخلها.

ومن النماذج التي ذَكَرَهَا، قوله[1]: (من الكامل)

خيرُ الممالكِ ما كانت دعامتُها ∴ على المكارمِ في الأخلاقِ والهِممِ

فاعلق حبالاً إلى الأخلاقِ مرجعُها ∴ فمن يكونُ لهذا المذنبِ الأثمِ

فالنموذج السابق من قصيدة طويلة جعلها تنتهي بروى الميم المُشبع بالكسر،

م	الحرف	عدد الأبيات التي جاء رويًا لها	عدد المرات التي جاء رويًا لها	النسبة المئوية
١	الهمزة	٩٨	١	٥٤.٤٣٪
٢	الباء	١٦٦	٣	١١.٣٩٪
٣	النون	٣٢	١	١٠.٧٥٪
٤	اللام	١١٢	٤	٧.٥٩٪
٥	الميم	١٧٩	١	٥.٠٦٪

فأدى دورًا مُهمًا بعناية فائقة وقيمة مُوسيقية عَالية في إبراز مَضْمونها الوجداني الرَّائِع الذَّي تَأَثَّر به، فَشَخَّصَ الأخلاق والمكارم، ويُلْحَظ أيضا أنَّ

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٤٠.

حرف الروى وهو الميم المكسورة أعطى إبرازًا لهذه الأبيات بالنغم والجَرْس الموسيقي المُنتظم الرَّنّان.

١- **الباء**: ورد(روي الباء) لدى (الطوخي) في شعره الإسلامي، فقال[١]:(من الطويل)

لروضتِكَ الفيحاءِ تُهفو وتُجذَبُ ∴ قلوبُ بني الإسلامِ والخيرُ يُطلَبُ

وقلبي إلى البيتِ العتيقِ مُوجَّهٌ ∴ فهل يبلغُ الرحمنُ ما فيه أرغبُ؟

حيث لجأ (الطوخي) في وصف مشاعره وهي محبته واشتياقه لله ولرسولهﷺ والأماكن المقدسة التي منها الروضة الشريفة والبيت الحرام، التي يستشعر بها محبة الله تعالى، وأتى بالاستفهام الذي خرج إلى المعنى المجازي وهو التمني، فهو يتمنى ويرغب القبول من الله تعالى، رغم بعد هذه الروضة الشريفة، فهو مشتاق ومحب لله ولرسوله ﷺ ولبقاع الأراضي المطهرة، فاستعان بروي الباء المضمومة، واستطاع أن ينفِّس عن عاطفته الملتهبة، وذلك بأسلوب متعمق، مما يَجعل المُتَلقي يَنْدَمج معه وما يجده من الاشتياق والمحبة، فيربط ذلك بحسه ووجدانه عند سماع هذه الأبيات.

٣ - **اللام** : ورد (روي اللام) في شعر (الطوخي) الإسلامي، ومن النماذج التي كانت اللام رويًا لديه، عندما خاطب المؤمنين، وحثهم على إحياء ذكرى الرسول ﷺ العطرة، ذلك الأنموذج الذي يقول فيه[٢]: (من البسيط)

يا قومَ أحمدَ إنْ تحيُّوا ذكره ∴ كونوا لفعلِ المؤمنين مِثالا

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٩.

واللهَ نســـــــألُ أن يوفِّقَنـــــا إلى ∴ مـــا نبتغـــي ويُحقِّـــقَ الآمـــــالا

ويُنيـــلَ مصـــرَ العـــزَّ واســـتقرارها ∴ ويـــديمَ فينـــا الأمـــنَ والإقبـــالا

ويعيـــدَ للإســـلامِ ماضـــيَ مجـــدِه ∴ ويوحِّـــــدُ الآراءَ والأفعـــــــالا

فجاء (الطوخي) في مقام إحياء ذكرى النبي ﷺ بروي اللام، ففي ذكره إيمان وتقوى وعقيدة، كما يسأل الله التوفيق إلى الهداية والرشاد، وجاء بهـذه اللام رويا بقافية مطلقة موصولة بألف نتيجة الإشباع، وتسمى هـذه الألـف بـ " الوصل"؛ مما زاد من جمال الأبيات و مـن نغماتـها الموسـيقية، وذلك ساعـده في إبراز هذه المشاعر الإيمانية التي تأثر بها، وهـذا يكـون بَاعِثًا للاطمئنان وأدعى في غرس الإيمان في قلب المتلقي والسامع.

ثانياً : الموسيقا الداخلية :

إذا كان للوزن والقافية دورهما البارز، والظاهر في موسيقا الشعر « فليس الوزن والقافية كل الموسيقا والشعر، فللشعر ألوان من الموسيقا تعرض في حشوه، وَشَأن مُوسيقا الإطار تَحتضن مُوسِيقا أخرى في الشعر شَأن النَّغَمة الواحدة تُؤلف الألحان المُختلفة في موسيقا الغناء»[1]، فموسيقا الشعر« لم يضبط منها إلا ظاهرها، وهو ما تضبطه قواعد عِلمَي العروض والقوافي، وَوَرَاء هذه الموسيقا الظاهرة موسيقا خفية، تتبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما بينها من تَلَاؤم في الحُروف والحَركات، وبهذه المُوسيقا الدَّاخِلِيَّة يَتَفَاضَلُ الشُّعراء »[2]، وفي إطار تَتَبُّع شِعْر الطوخي الإسلامي وَجَدْتُ تَنَوُّعًا مُوسِيقيًّا خَاصًا في المُوسيقا الدَّاخلية، مِمَّا نَتَجَ عَنْه عِدة ظَواهِر، والتي كان من أبرزها: (التكرار– الطباق– الجناس– التصريع) .

أولا : التكرار: يُعد التكرار رافدا من روافد الموسيقا الداخلية في الألفاظ، والعبارات، والتكرار هو " تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغما موسيقيا يقصده الناظم في شعره أو نثره "[3].

وقد لجأ (الطوخي) إلى هذا الأسلوب حرصا منه على إعطاء قصيدته قيمة صوتية عالية، ونغما موسيقيا يتلذذ به السامع، وللتكرار مواضع

---

(١) خصائص الأسلوب في الشوقيات، تأليف/ محمد عبد الهادي الطرابلسي، ص ١٩، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

(٢) في النقد الأدبي للدكتور/ شوقي ضيف، ص٩٧ .

(٣) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، للدكتور/ ماهر مهدى هلال، ص ٢٣٩، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، سنة١٩٨٠م.

يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها " فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه"(١).

وهو من الظواهر الأسلوبية الفنية التي يلجأ إليها كثير من الكتاب والشعراء في أعمالهم لسر بلاغي، وقد استعمله (الطوخي) في شعره الإسلامي، فكرر بعض الألفاظ، كذلك كرر بعض الجمل في أثناء الصياغة الأسلوبية، وذلك لهدف لديه، ومن تكراره للألفاظ قوله(٢):

إلَهِي إنَّني عبدٌ مسيءٌ ∴ قرعتُ بتوبتي للعفوِ بابا

إلَهِي باسمكَ اللَّهُم سارتْ ∴ أمورُ الكونِ ثابتةً رِتابا

إلَهِي تاهت الألبابُ فاردْ ∴ جماحًا غاويًا ضلَّ الصوابَا

إلَهِي ثبِّتْ الإيمانَ أصلًا ∴ يقرُّ وفرعُه يزري السحابَا

إلَهِي جلَّ شأنُكَ من رحيمٍ ∴ بعثتَ محمَّدًا يتلو الكتابَا

حيث يلحظ تكرار لفظ " إلهي" كثيرًا في هذه القصيدة، وذلك بقصد التذلل والدعاء من مولاه بأن يحقق له ما يريد، كذلك فيه إلحاح وأكثر تذللًا وتضرعًا للمولى –عزَّ وجلّ– وهذا التكرار ملأ البيت الشعري موسيقا عذبة حسَّنت الصورة، ووضحت منزلة هذه الخميلة عند الشاعر.

ولهذا التكرار أغراض كثيرة؛ منها إبراز المعنى وتأكيده، وهو ما ذكره "يحيى بن معطى" عن ظاهرة التكرار حيث يقول : "هي أن يكون تكرار اللفظ أو المعنى في البيت أو العبارة لإحراز فائدة التأكيد والترسيخ"(٣).

---

(١) العمدة في محاسن الشعر، ص ٧٣ .

(٢) ديوان الشيخ العاشق، ص ٦٩.

(٣) البديع في علم البديع، تأليف/ يحيى بن معط، تحقيق الدكتور/ محمد مصطفى أبو شوارب، مراجعة الدكتور/ مصطفى الصاوي، ص١٨٩، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣م.

ومن تكرار اللفظ قوله في قصيدته التي ودَّع بها شهر رمضان، والتي ابتدأها بقوله[1]:

وداعًـــا حافلًـــا يـــوم الذهـــابِ ∴ بآيـــاتِ الهدايـــةِ والمتـــــاب

وداعًـــا كنـــتَ فينـــا خـــيرَ ضَيـــفٍ ∴ عزيـــزَ الجـــاهِ مَوفـــورَ الجنـــاب

وداعًـــا ســـيدَ الأيـــامِ منَّـــا وداعًـــا ∴ وداعًـــا شـــهرَ صـــومٍ واحتســـاب

أيـــا رمضـــان يـــا شـــهرَ العطـــايا ∴ ويـــا شـــهرَ الـــدعاءِ المســـتجاب

ويـــا شـــهرَ التُقـــى والأجـــرُ فيـــه ∴ يزيـــدُ عـــن المعـــارفِ والحِســـاب

ويـــا شـــهرَ المســـاجدِ فيـــك ضـــاءت ∴ بشـــمسٍ مـــا تـــوارَت بالحجـــاب

ويـــا شـــهرَ القيـــامِ بجُنـــحِ لَيـــلٍ ∴ مخافـــةَ قـــاهرٍ قاســـي العِقـــاب

فأبدع (الطوخي) في هذا التكرار، فكرر لفظتي "وداعا" ، و" يا شهر" مضفيا عليهما الصور والسجع والموسيقا، كذلك أبدعَ في ذكر مناقب الشـــهر المعظم، مُفتقدًا أيامه وصومه وصلاته وأريحيته، فقد وجد فيه الخير والـــيمن والبركات[2].

ومن تكرار الجملة قوله[3]:

أَرَأَيْتَـــه يهـــوى العبـــادةَ في حِـــرا ∴ أَرَأَيْتَـــه يرمـــي العـــدا بنبالِـــه

أَسَـــمِعْتَ بالإســـراءِ والمعـــراج ∴ والأنعـــام نِعْـــمَ القـــربُ مـــن أفضـــالِه

أَرَأَيْتَـــه بـــين الكُمـــاة محـــاربًا ∴ بشـــجاعةِ التوحيـــدِ في أبطالِـــه

---

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ١٠٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٢.

أَرَأَيْتَــــه يـــوم التقـــى الجمعـــــان ∴ في بـــدرٍ ونصـــرُ الله فـــوقَ رجالِـــه

أَرَأَيْتَـــه مـــلأَ اليقـــــينُ فـــؤادَه ∴ يرجـــو مـــن الـــرحمنِ قُـــربَ وصـــالِه

فتكرار جملة { أرأيته } في الأبيات السابقة ساعد في تنويع الموسيقا في الأبيات الشعرية؛ لذا استطاع (الطوخي) أن يبرز أدق الصور والتناسق الموسيقي، مما أثَّر في القصيدة، فزاد من جمالها وإيقاعها لما تُحدثه إعادة الألفاظ، والجمل من تقوية في الأداء الموسيقي، ولما يشكله هذا التكرار من قيمة تساعد على تقوية المعنى وتأكيده، وكذلك تضفي على القصيدة جوًّا من الموسيقا الداخلية والإيقاع المتميز.

ثانيا: الطباق: " أن تجمع بين ضدّين مختلفين، كالإيراد والإصدار، والليل والنهار، والسواد والبياض"(١)، وهو لون بديعي فطري، وهو : " من الفنون التي تربط الكلام ببعضه عن طريق علاقة التضاد؛ فالضد أقرب خطورًا بالبال عند ذكر ضده"(٢)، ولأن الطباق يزيد المعنى تأكيدًا، ووضوحا بجمعه للمعاني المتقابلة، فقد استخدمه(الطوخي) في العديد من قصائده. ومن ذلك قوله (٣): (من الكامل)

بلـوتُ أيامَهـا البيضَـا وأســـودَها ∴ وشمـتُ حالاتِهـا في البخـلِ والكـرمِ

حيث طابق في النموذج الأول بين (البيضا) و(أسودها) لتوضيح المعنى وتقويته .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، ص ٩٨، الجزء السابع، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣ هـ.

(٢) دراسات منهجية في علم البديع، للدكتور/ الشحات محمد أبو ستيت، ص ٥٠، دار خفاجي للطباعة والنشر، القليوبية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٣) ديوان الشيخ العاشق، ٣٩.

ومن ذلك قوله[1]:

يـــا عـــدلُ قـــوِّ العـــدلَ في حُكَّامنـــا ∴ واهـــدمْ صـــروحَ الظُّلـــم والظَّـــلماء

فطابق في النموذج الثاني بين(العدل) و(الظلم)؛ ليدل على الإحاطة والشمول، وكقوله[2]:

أنـــتَ الغـــنيُّ إليـــكَ الكـــونُ مفتقـــرٌ ∴ فبـــدِّلِ الحـــالَ مـــن عُســـــرٍ إلى نَعـــمِ

وذلك في قوله: (الغني ومفتقر)، و(العسر والنعم)، وذلـك مـا يزيـد المعنى الدلالي والجمالي من الأسلوب طلاوة وحلاوة ووضوحا.

ومن خلال ما سبق من نماذج يلحظ التنويع الموسيقي والتنغيم النـاتج عن الطباق، ما يطرب السامع، ويثير المشاعر، ويحرك الجـوارح، ويأخـذ بالألباب، كما يلحظ مجيء الطباق عند (الطوخي) حسن جميل، وكان له دور إيقاعي بارز، وفريد؛ لأن الطباق يؤدى دوره عن طريق الإيقاع النفسي الذى يحدثه التقابل في المعنى بين كل لفظين متضادين، مما كان له عظيم الأثر في موسيقى الشعر وتقوية المعنى وتأكيده.

ثالثا : الجناس: وهو "أن يتشابه اللفظان فـي النطـق ويختلفـا فـي المعنى"[3]، ويلجأ إليه الشعراء لخلق نوع من الانسجام بين الألفاظ، من خلال التناغم الموسيقي والتماثل في الصورة اللفظية، وللجنـاس دورٌ بـارزٌ فـي توضيح المعنى وتقويته، والتأثير في الآخرين، وإكساب النص نغمة مـؤثرة، وهذا يؤكد بوضوح أهمية الجناس في خلق الموسيقا الداخليـة فـي الـنص الأدبي.

---

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٢.

(٣) البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميـداني الدمشـقي، ٤٨٥/٢، دار القلـم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

والجناس نوعان : تام وغير تام، والتام هو " أن تتفق الكلمتان في لفظهما، ووزنهما، وحركاتهما ولا يختلفان إلا من جهة المعنى" [١]، وغير التام : " ما اختلف فيه اللفظان في نوع الحروف، أو عددها أو هيئتها، أو ترتيبها "[٢]. وهذا النوع هو الذى شاع عند الطوخي، وتعددت صوره المؤثرة إيقاعيًا، وتصدر شعر، ومن الجناس عند الطوخي، قوله[٣]:

فأينَ نحنُ من الأبطالِ قادتِنا ∴ سادوا وشادوا بناءَ الدينِ بالقضبِ

وما اعتصمنا بحبلِ اللهِ في محنٍ ∴ وما ادَّرعنا بحولِ اللهِ في طلبِ

فوقع الجناس بين (سادوا) و(شادوا)، وهو جناس ناقص؛ لاختلافهما في نوع الحرف، مع تباعد في المخرج وهو ما يسمى بالجناس " اللاحق "[٤]. مع اختلاف في المعنى فكلمة (سادوا) من السيادة التي تعني العزة والرفعة، و(شادوا) من التشييد والبناء، وهنا يعني التشييد الفكري والثقافي والحضاري الذي يدل على الجهد والبذل والتضحية، ولقد خلق هذا الجناس نغما موسيقيًّا يعكس جمال اللغة وروعتها.

كذلك في البيت التالي وقع الجناس بين (بحبل) و (بحول)، وهو جناس ناقص؛ لاختلافهما في نوع الحروف، مع الاختلاف في مخرج النطق، وهو ما يسمى بـ " الجناس اللاحق" [٥]، ومنه قوله[٦]:

---

(١) فنون بلاغية البيان والبديع، للدكتور/ أحمد مطلوب، ص ٢٢٤.دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .

(٢) دراسات منهجية في علم البديع، ص ٢٠٣.

(٣) ديوان الشيخ العاشق، ص ٨٦ .

(٤) الجناس اللاحق : هو ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحد منهما غير متقاربين في مخرج النطق، ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، لأحمد إبراهيم الهاشمي، ضبط وتوثيق د/ يوسف الصميلي، ص ٣٢٧، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

(٥) الجناس المضارع : وهو ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحد منهما مع تقاربهما في النطق، البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ٢/ ٤٩٤، دار القلم ، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

(٦) ديوان الشيخ العاشق، ص ٩٦ .

مـا بالُنـا لم نفـقْ؟ مابـالُ قادتنِـا؟ ∴ قـد حـالفوا الخلـفَ إسـرارًا وإعلانـا

جناس تصحيف بين كلمتي : (حالفوا والخلف) في حرفي الحاء والخاء بما يمثلانه من تضاد وجناس يعلنان في قمة الأسى وشدة الحـزن، مـا رآه الشيخ العاشق منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان من خلافات وفرقة بين قادتنا الذين تسببوا في شق صف الأمة، فكان ما كان من خذلان ومن ضعف إلى ضعف، ومن هوان، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ فيما يروى عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:" **يُوشِـكُ الْـأُمَمُ أَنْ تَـدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا "، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: " بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُـدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ "، قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: " حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَـوْتِ**"[1]، وهـذا حالنـا وإلـى الله المشتكى.

ومن خلال النماذج السابقة يلحظ أن الشاعر استعان بالجناس كوسـيلة فنية جميلة أجاد فيها غاية الإجادة، وحقق بذلك انطباعًا موسيقيًّا داخليًـا فـي الأبيات الشعرية جعلـت المتلقي يتذوق حلاوة هذه الألفاظ.

رابعا : التصريع: يُسهم التصريع في زيادة الإيقاع الموسيقي جمـالاً، والتصريع " عبارة عن استواء عروض البيت وضربه في الوزن والإعـراب والتقفية، بشرط أن تكون العروض قد غيرت عن أصلها لتلحق الضرب فـي

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري، دار الفكـر، بيـروت، لبنـان، ٣٣٦٥/٨، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

زنته"[١]، وسبب التصريع" مبادرة الشاعر القافية ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع في أول الشعر"[٢].

والتصريع يؤدى وظيفة كبيرة في موسيقا البيت، حيث يجعل العروض والضرب يلتقيان في صوت واحد مما يحدث رنينا داخليا تميل إليه الأذن، ولا سيما وأنه يأتي به في مفتتح القصائد وهو أول ما يقرع الأسماع فيهيئ النفوس للإصغاء والطرب.

والمتأمل في شعر الشيخ (الطوخي) يجد أن كثيرًا من قصائده قد جاءت مصرعه، وهذه الظاهرة الأسلوبية تدل على تمكن الشاعر وعنايته بأساليبه، وقوة طبعه، وكثرة مادته، وهي تضفى على النص الشعري إيقاعا موسيقيا له أبلغ الأثر في إضفاء زيادة في التعمق، والثراء النغمي الداخلي، ومن نماذج ذلك قوله[٣]: **(من البسيط)**

آيَاتُ وجدِي أمْلَتْ صَادِقَ الكَلِمِ ∴ في مدحِ مَن ذِكْره قُربَى ومُغتَنمي

وكقوله[٤]:

سألتُ اللهَ يمنحني متابا ∴ ويُلبسني من التقوَى ثِيابا

حيث جاءت العروض في البيت الأول مخبونة مثل الضرب تمامًا من قبيل التصريع مع التقفية وتوحيد حرف الروي الباء المكسورة، وفى البيت الثاني جاءت العروض سالمة غير عروض البيت الأول، فعدل عنها

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لعبد العظيم بن أبى الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تقديم وتحقيق الدكتور/ حفني محمد شرف، ص ٣٠٥، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامى.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١/ ١٧٤.

(٣) ديوان الشيخ العاشق، ص ٣٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٨.

بالعروض الصحيحة بعد ذلك في القصيدة، وهذا يثبت أن التغير لم يحدث إلا من أجل التصريع، مما أعطى للبيت نغمة موسيقية جميلة تطرب لهـا الأذن، وتأنس بها النفس.

ومن ذلك قوله[1]:**(من الكامل)**

هـزَّ المشـاعرَ روعـةً وجـلالا ∴ شـهرُ الربيـعِ لقـد كُسـِيْتَ جمـالا

فكلمتا "جلالا وجمالا" متوافقتان في الوزن، حيث امتازت قصائد الشيخ بهذا اللون الموسيقي الداخلي، فقد أدى التصريع الذي استخدمه في موسـيقى النماذج السابقة نَغمًا مُوسيقيًا عَـذْبًا ترتاح له الأذن وتأنس به العُـقُول، مِمَّا يُضْفِي على النُّفُوس البَهْجَةِ والهُدوء ومما يَجْعَـل الغـرض الشِّعـري ينفـذ عـبر الأسماع، فَيَصِلُ للقلوب بسبب النغمات الصوتية المنتظمة التي أتى بها في هذا الأسلوب، وهنا جاءت عروض الكامل التام مقطوعة لتوافق الضرب المقطوع، ثم عدل عنها بالعروض الصحيحة بعد ذلك في القصيدة، وهذا يثبت أن التغير لم يحدث إلا من أجل التصريع.

والتصريع عند (الطوخي) تصريع حسن في جملته، أعطـى مطـالع القصائد رونقًا وجمالًا وإيقاعًا موسيقيًا رنان، وجاء طبعيًا قويًا لا تكلف فيـه، مكملا للصورة الفنية متآزرًا معها متلاحمًا ببنائها، فهي ظاهرة لها شأن خاص في شعره حيث غلبت، وسادت في مطالع القصائد بشكل تقليدي موروث .

(١) ديوان الشيخ العاشق، ص ٨٧.

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه في هذا البحث الذي تناول الجانب الإسلامي في شعر الشيخ (محمود مصطفى الطوخي)، يمكن استخلاص النتائج التالية:

- إن الشيخ (الطوخي) يعد واحدا من أبرز شعراء هذا الاتجاه، وذلك بما له من قصائد وأشعار كثيرة فيه، وبما اشتملت عليه هذه الإشعار من قيم فنية أصيلة وما تضمنته من موضوعات متعددة تتصل بالدين الإسلامي مباشرة أو ترتبط بالحس والتصور الإسلامي الصحيح لديه.
- إن دوافعه إلى صياغة هذا الشعر والإكثار منه متعددة، من أهمها الدافع الاجتماعي الذي تمثل في الأصول المتدينة والنشأة في القرية التي تلتزم بالدين ومبادئه، ثم الدافع الثقافي الذي تحقق في ثقافته الدينية اللغوية، وأخيرا الدافع التربوي المتمثل في عمله مدرسا للغة والدين في المدارس الأولية، كل هذه الدوافع كانت وراء الكثرة والإجادة في الشعر الإسلامي لدى (الطوخي).
- كذلك لا ينفصل شعر (الطوخي) الإسلامي عن حياته الشخصية وواقعه الاجتماعي والنفسي، حيث تحدث في هذا الشعر عن آماله وآلامه جنبًا إلى جنب، مع ذكر الأحداث والوقائع والموضوعات الإسلامية الأساس، فتحدث عن آماله في عفو الله –تعالى– وطلب منه مغفرة الذنوب، والتجاوز عن الزلَّات، كما أنه توسَّل بالنبي ﷺ في إنقاذ الأمة مما حاق بها من التفرق والبعد عن صحيح الدين، كذلك طلب منه الشفاعة يوم الدين.
- إن مصادر الشعر الإسلامي لدى (الطوخي) كثيرة من أبرزها القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي والشعر العربي القديم والحديث والواقع الذي يعيشه، فقد اعتمد عليها جميعا في استمداد معانيه وأفكاره،

وتشكيل أسلوبه مما جعل التأثر بالتراث أو التناص الديني والتاريخي والأدبي من أهم معالم هذا الشعر وأبرز ظواهره الفنية.

- إن شعر الشيخ (الطوخي) الإسلامي لم يقتصر على طريقة واحدة في العرض، فمنه ماجاء في قصيدة كاملة ومختصة بهذا النوع، ومنه ماجاء في الأشعار والقصائد ضمن الأغراض الأخرى كالشعر التأملي والوجداني ذوي الحس الإسلامي، حيث كان الشاعر في أثناء صياغته يعرب عن رؤيته الإسلامية وتصوره الديني لما يعالجه فيها.
- إن المناجاة الإلهية والمديح النبوي هما أكثر الموضوعات تناولا في الشعر الإسلامي هنا، وقد جرى فيهما الشاعر على منوال السابقين في ذلك، ومن أبرزهم (البوصيري) من القدماء، وأمير الشعراء (أحمد شوقي) من المعاصرين، حيث تأثر بهما في تكرار بعض المعاني والتعبيرات الأسلوبية، والختام بنظام خاص وهو مناجاة الرسول ﷺ والتوسل به وطلب الشفاعة منه.
- إن هذا الشعر يقوم على أسلوب عربي جزل ولغة تتسم بالدقة والوضوح والخيال السهل القريب، والصورة الحسية والواقعية المستمدة من الواقع التاريخي والتراث الإسلامي، أو من الواقع الاجتماعي المعاش في العصر الحديث، وهو في ذلك كله متأثر بأعلام المجددين في مدرسة المحافظين، وذلك مثل (أحمد شوقي) و(حافظ إبراهيم) و(أحمد محرم) وسواهم.
- إن الإيقاع الشعري في إسلاميات الشيخ (الطوخي) قام في الأساس على مراعاة الأوزان والقوافي التي قام عليها الشعر العربي القديم، والتزم بها الشعراء المحافظون والمجددون الأوائل في العصر الحديث.

الفهارس الفنية

أولاً : فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم : جلَّ من أنزله .
- الحديث الشريف.

أولاً : المصادر والمراجع :

١- الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، تأليف/ أبوالحسن علي الحسني الندوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢- الأدب وفنونه، تأليف الدكتور/عز الدين إسماعيل، طبعة دار الفكر العربي، رقم ٦، سنة ١٩٧٨م.

٣- الأسلوب، تأليف/ أحمد الشايب، مطبعة النهضة، القاهرة، رقم ١٢، سنة ١٩٩٨م.

٤- البديع في علم البديع، للدكتور/ يحيى بن معطى، تحقيق: الدكتور/ محمد مصطفى أبو شوارب، مراجعة الدكتور/ مصطفى الصاوي، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣م.

٥- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، تأليف أ/ عبد المتعال الصعيدي، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، د. ت .

٦- البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٧- التجديد الموسيقي في الشعر العربي، دراسة تأصيلية تطبيقية بين القديم والجديد لموسيقى الشعر العربي، للدكتور/ رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٤م .

٨- تحت راية الإسلام، تأليف الدكتور/ نجيب الكيلاني، مطبعة موسسة الرسالة، بيروت، رقم ٣، سنة ١٩٨٤م.

٩- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لعبد العظيم بن أبى الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تقديم وتحقيق الدكتور/ حفني

محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١٠- الجامع الكبير – سنن الترمذي– للترمذي– تحقيق/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة النشر ١٩٩٨م.

١١- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، للدكتور/ ماهر مهدى هلال، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، سنة١٩٨٠م.

١٢- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد إبراهيم الهاشمي، ضبط وتوثيق الدكتور/ يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ت.

١٣- خصائص الأسلوب في الشوقيات، تأليف/ محمد عبد الهادي الطرابلسي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٦م.

١٤- دراسات منهجية في علم البديع، للدكتور/ الشحات محمد أبو ستيت، دار خفاجي للطباعة والنشر، القليوبية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٥- ديوان الشيخ العاشق، تأليف الشيخ/ محمود مصطفى الطوخي، دار ببلومانيا للطبع والنشر، سنة ٢٠٢٠م.

١٦- ديوان جراح الفجر في ضوء نظرية الأدب الإسلامي، للدكتور/ عصمت محمد أحمد رضوان، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد الثاني عشر، سنة ١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م.

١٧- ديوان يا إلهي في ضوء نظرية الأدب الإسلامي، للدكتور/ حسن أبو المجد محمد، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد العاشر، سنة ٢٠٠٦م.

١٨- شرح بردة المديح، للبوصيري، دار القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.

١٩- شرح صحِيح مُسلم، تحقق الدكتور/ يحيَى إِسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٠- الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي، تأليف/ أشرف على حسن دعدور، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، سنة ١٩٩٤م .

٢١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق/ محمد محى الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨١م.
٢٢- فنون بلاغية البيان والبديع، للدكتور/ أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٥ه-١٩٧٥م.
٢٣- في الأدب واللغة، تأليف الدكتور/ أحمد هيكل، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، سنة ١٩٩٨م.
٢٤- في النقد الأدبي للدكتور/ عبد العزيز عتيق، دار نهضة مصر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٢م.
٢٥- في النقد الأدبي، للدكتور/ شوقي ضيف، سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف مصر، سنة ١٩٦٦م.
٢٦- في ميزان النقد الأدبي، تأليف الدكتور/ طه أبو كريشة، مطبعة المليجي، القاهرة، سنة ١٩٧٦م.
٢٧- القافية تاج الإيقاع الشعري للدكتور/ أحمد كشك، طبعة مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، سنة ١٤٠٥ه-١٩٨٥م.
٢٨- قضايا الشعر في النقد العربي، للدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن محمد، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨١م.
٢٩- اللغة الشاعرة، تأليف/ عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٥م.
٣٠- مختار الصحاح، للرازي، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٣١- مدارس النقد الأدبي الحديث، تأليف الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة الدار المصرية اللبنانية- القاهرة، رقم ١، سنة ١٩٩٥م .
٣٢- مدخل إلى الأدب الإسلامي، تأليف الدكتور/ نجيب الكيلاني، سلسلة " كتاب الأمة " رقم ١٤، سنة ١٤٠٧ه.

٣٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٣٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق/ شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.
٣٥- معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار، مطبعة عالم الكتاب، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٨م.
٣٦- مناهج البحث الأدبي، تأليف الدكتور/ سعد ظلام، مطبعة دار السعادة، سنة ١٩٧٦م.
٣٧- منهج الفن الإسلامي، تأليف أ/ محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٦م.
٣٨- موسيقى الشعر العربي دراسة فنية وعروضية للدكتور/ حسني عبد الجليل يوسف، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٩ م.
٣٩- موسيقى الشعر، للدكتور/ إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، مطبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣ م.
٤٠- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، للدكتور/عبدالرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
٤١- نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تحقيق/ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٥م.
٤٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ.

ثانياً : فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٣
٢-	Abstract	٤
٣-	المقدمة	٥
٤-	التمهيد	٨
٥-	أولا : حياة الشيخ الطوخي	٨
٦-	ثانيا: نظرية الأدب الإسلامي(إطلالة عامة)	١٠
٧-	الفصل الأول{ الدراسة الموضوعية} الاتجاه الإسلامي في شعر الطوخي{الدوافع والموضوعات}	١٣
٨-	أولا : الدوافع	١٣
٩-	ثانيا: الموضوعات	١٣
١٠-	الفصل الثاني{الدراسة الفنية}	٤٢
١١-	أولا: خصائص المضمون	٤٢
١٢-	المعاني والأفكار	٤٢
١٣-	العاطفة الشعرية	٤٩
١٤-	الصور والخيال	٦١
١٥-	الوزن والموسيقا	٦٣
١٦-	{ الخاتمة }	٨١
١٧-	{ الفهارس الفنية }	٨٣
١٨-	فهرس المصادر والمراجع	٨٣
١٩-	فهرس الموضوعات	٨٧

تم بحمد الله